# الزمن .. والامل .. والمأساة

بقلم نعيم عطية

***

عندما ظهرت اولى روايات الكاتب الايرلندي المعاصر صمويل بيكيت وعنوانها « مالون يموت » في سبتمبر عام ١٩٥٦ تلقاها النقاد بشيء كبير من التقدير المشوب بالدهشة والحيرة .

وعندما ظهرت من قبل « في انتظار جودو » أولى مسرحيات بيكيت – وكان ذلك في عام ١٩٥٣ – تساءل النقاد والجمهور ما الذي يقصده بطلاها وهما صعلوكان وقفا عند شجرة جرداء أو تكاد ينتظران مخلصا مجهولا اسمه جودو ؟ ما الذي يقصدانه من حوارهما المهلهل الملتوي عندما يتحدثان عن الامل الذي يترقبانه يوما بعد يوم دون أن يجيء ودون أن يكلا من مشقة الانتظار ؟ ما الذي يقصدانه من ذلك الرجاء الميئوس منه ؟.. ومن الذي يقصده بيكيت ، ذو الدهاء المهول ، والثقافة الوفيرة ، والصنعة الادبية والمسرحية الاريبة ، من اغراق صعلوكيه في فراغ الزمن ؟ او بعبارة أكثر ايجازا ما هي المأساة الانسانية ؟

وقد جعل الاقبال الذي لقيته مسرحية بيكيت ( حتى انها ترجمت الى ما يزيد عن ست عشرة لغة حية ) والنجاح الذي حققته روايته الاولى ، الاضواء تعود الى الوراء لتسلط على دراسته القديمة التي كتبها عام ١٩٣١ عن الروائي مارسيل بروست صاحب رواية « بحثا عن الزمن المفقود » ولتربط بين النتائج المهمولة التي وصل اليها فن الروائي الفرنسي وما تردد صداه في أعمال الايرلندي الذي يعد في طليعة كتاب جيل ما بعد الحرب العالمية الثانية .

وقد خلص بيكيت من خلال دراسته لبروست الى تسجيل انطباعات اريبة . وكان هدفه الاول من دراسته تلك – على حد قوله – التقصي عن وجهي ذلك الغول الذي يهلك وفي الوقت ذاته يخلص .

ولكن ما هو ذلك الغول .. ذلك الغول ذو الوجهين ؟! انه الزمن ..

وبصرف النظر عن المضمون فان الماضي بالنسبة الى الحاضر خيبة امل والمستقبل بالنسبة الى الحاضر طموح سيتحول بدوره الى خيبة امل . ومن ثم كان الحاضر عذابا ذا وجهين ، لان الاشتياق الى المستقبل عذاب لانصرافه الى شيء هو بالنسبة للحاضر غير مدرك . وتذكر الماضي عذاب لانصرافه الى شيء خرج بالنسبة للحاضر عن اليد . الحاضر اذن عملية عذاب مزدوج ، لانه من ناحية عملية انتقال الى المستقبل ، وذلك بسبب تفاؤلنا الذي لا برء منه وارادة الحياة المحمومة التي لا راد عنها . ولانه من ناحية اخرى عملية معاناة مما الحقه الماضي بنا من تشويه . اننا لسنا سجناء الساعات والايام فحسب ، بل نحن ايضا كائنات غير ما كنا امس . ان تطلعات الامس غير صالحة الا بالنسبة لشخصية الامس لا بالنسبة لشخصية اليوم . ونحن خائبو الرجاء لبطلان ما نحب ان نسميه بلوغ الامل .

ولكن ما هو بلوغ الامل ؟ هو اتحاد الشخص بموضوع رغبته . هو وضع الشخص يده على موضوع رغبته . ان الشخص في كل لحظة يموت . وانسان اليوم ليس انسان الغد . ان انسان هذه اللحظة قد تغير عنه في اللحظة التي سبقتها وسيتغير في اللحظة التي تليها . وسيمضي في التغير في كل لحظة آتية . ان تجربة الماضي اذن تولد انسانا جديدا شوهته عجلة الزمن التي تدوسه منطلقة في طريقها . ولا تقتصر لوذعية الزمن المسمومة على التأثير على المرء تبعا لسلسلة متلاحقة من التبديل الذي لا ينقطع بحيث تصبح حقيقة ، ان كان ثمة حقيقة ، ذات طابع انضمام الى الماضي ، بل ويصبح الفرد محل عملية سكب من القارورة المحتوية على سائل الماضي المرجوج والمتعدد الالوان الى القارورة المحتوية على سائل المستقبل الذي لم يأخذ لونا بعد . ولا يمكن تحديد الحادثة المستقبلة ولا حصر مضمونها حتى تقع وتتخذ لنفسها تاريخا ، اي مكانا في الماضي ومن ثم لا يمكن ان تتصف اية حادثة مستقبلة الا بانها مجردة وغير واضحة .

اما قوانين التذكر فتخضع لقوانين التعود الاكثر منها عمومية . والعادة عملية توفيق ومصالحة . والحياة ذاتها عادة . او ان شئت هي عادات متتابعة طالما كان الفرد تتابع افراد . ولما كان الموجود عمليات استنباط يقوم بها الضمير الفردي فان التحالف لا بد ان يتجدد على الدوام . ان معاينة الانسان للوجود لا تتم مرة واحدة فحسب ، بل تتم في كل يوم ، بل في كل لحظة . وتمثل فترات الانتقال التي تقع بين عمليات التكيف المتلاحقة المناطق الخطرة المزعزعة في حياة كل فرد . على ان فترات الانتقال هذه ليست لحظات غامضة مؤلمة فحسب بل ومجدية مثمرة ايضا . وذلك عندما تجد ملكات الفرد الاصيلة فرصتها في ان تتحرر في الوقت الذي تحل فيه محل ضجر الحياة ومللها احاسيس العذاب والالم ازاء المجهول الذي لم يؤلف بعد . فالولاء الوبيل للعادة يشل انتباهنا مما يجعلنا غير مستعدين بصفة مبدئية لمواجهة اية تجربة جديدة خشية التعرض للالم .

وواجب العادة الاساسي هو عملية دائبة من التوفيق واعادة التوفيق بين الحواس واوضاع الحياة . والعذاب او المعاناة مظهر عدم قيام العادة بذلك الواجب . اما في حالة قيام العادة بواجبها فان مظهر الحياة هو الضجر

والرتابة . والرتابة او الروتينية هي اكثر المساوىء الانسانية دواما واحتمالا . واذا لم يكن للعادة وجود فان الحياة ستبدو متعة بالنسبة لكل اولئك الذين يهددهم الموت في كل لحظة ، أي لكل البشر .

وعندما تخون العادة الثقة التي اولتها اياها الضحية في ان تجنبها مشقة مواجهة الواقع فان العادة تزول وتضحي الضحية ، التي لم تعد ضحية للحظة قصيرة ، في مواجهة الواقع مباشرة مما يحتم عليها ان تشحذ حواسها لمواجهة المجهول . وبين لحظة وفاة العادة القديمة واللحظة التي يقدر فيها لعادة جديدة ان تتمكن من الضحية فان الواقع الذي تتشربه الضحية محمومة متيقظة الحواس لتفادي الخراب يكون في اعلى درجات كثافته . ولكي تتوصل الشخصية الى احلال عادة جديدة محل العادة التي ودعتها بين البكاء والعويل تقوم بافراغ المجهول او اللغز من الخطر الذي يتهددها ولكنها تقوم بافراغه من جماله ايضا .

ويقول بروست ان العادة لو كانت طبيعتنا الثانية فانها تخفي عنا طبيعتنا الاولى . وهي مجردة من قسوة طبيعتنا الاولى وفتنتها . وفي المرحلة الانتقالية التي تلي وفاة طبيعتنا القديمة تقف طبيعتنا الاولى عارية ، بكل ما فيها من قسوة وفتنة ، هي قسوة الواقع وفتنته .

ولكن هل للواقع فتنة ؟

اجل ، للواقع فتنة عندما يقف منعزلا غير مفهوم ازاء جهلنا وحيرتنا وحبنا للاستطلاع . وللاسف فان العادة التي هي طبيعتنا الثانية تعترض على ذلك الشكل من الادراك طالما تقوم باخفاء الفكرة او الجوهر ، لان مخلوق العادة يشيح بوجهه عما لا يتلافى مع هذه او تلك من افكاره المبشرة التي يدبرها على اساس مبدأ توفير الجهد .

ان العادة نعمة ونقمة في آن واحد . والذاكرة معمل عامر بالسموم والمطيات والفكاك من قبضة الذاكرة المحكمة الاطباق لا يتأتى الا عرضا عندما تشتد الذاكرة اللاارادية بفضل وصول العادة الى مرحلة من الضعف والاحتضار .

ويمضي بيكيت الى الحديث عن الصداقة والحب من خلال انطباعاته البروستية ، فيقول ان المرء يتطلب من الاخرين ان يفهموه لانه يرغب في ان يحب . ولكننا لا نكترث بان نفهم الاخرين ، في حين اننا نلح عليهم ان يولونا هم حبهم . اما الصداقة فهي محاولة يائسة للخروج من تلك العزلة المرة المحكوم بها على كل انسان وليس صحيحا ما قاله نيتشة من ان الصداقة تقوم على التعاطف الفكري، اذ اننا غالبا ما نرتاح في الواقع الى اولئك الذين تتصف افكارهم بذات البلبلة والحيرة التي تتصف بها افكارنا . وتعادل ممارسة الصداقة التضحية بالجوهر الحقيقي للذات للانطلاق من داخلها الى خارجها . وباختصار ، اننا في عزلة فلا يمكننا ان نعرف ولا يمكن ان نعرف .

واخيرا . ما هي المأساة ؟

ان المأساة هي تسبيل لعملية تكفير عن خطيئة اصلية، عن الخطيئة الاولى والابدية . هذه الخطيئة تتمثل في ان الانسان قد ولد ـ في انه جاء الى الحياة . وهذا ما يعبر عنه بيكيت . في مسرحيته الاولى :

فلاديمير : لنفرض اننا تبنا .

استراجون : تبنا من ماذا ؟

فلاديمير : اوه ... ( يفكر ) لا يجب ان ندخل في التفاصيل .

استراجون : كوننا قد ولدنا ؟

( ينفجر فلاديمير في ضحك قوي ثم ما يلبث ان يكبته بسرعة ضاغطا يده على معدته ، وقد اعوجت قسمات وجهه . )

**القاهرة** — **نعيم عطية**

## حنين ...

●

هي روحي سكبتها في حنيني
حين ثارت في النفس بعض شجوني
وعيوني ؟ هلا سألت عيوني
أي ثار للدمع كان لديا ؟
راح يهمي من مقلتي تحنانا

❋

واحنيني لقبلة من جبينك
واحنيني لغفوة في يمينك
واحنيني اليك ، او واحنينك
حكم الله بالفراق عليا
وجزاني من صحبتي نسيانا

❋

أنا في وحدتي رهين شقائي
أنا في غربتي أسير عنائي
دمعتي في العشي كل عزائي
وسأبقى الشقي ما دمت حيا
رب رحماك قد كفاني هوانا !

**لندن** — **سعيد العيسى**

من « العروة الوثقى »

# غو

نمَوْتِ .. نموت ُمسرعة    فصرت قريبة مني
وكم عطَف الهوى قلبي    عليك صغيرة السن
حنوت على غبي السحر فيك وغافل الحسن
عطفت الغصن قبل تفتح الاكمام في الغصن
اغاظك انني حاولت ان اجني ، فلم اجن؟!
واني كنت في حبي    اموه عنك ما يعني
تنبه جفنك اللاهي    وهب محاربا جفني

❋

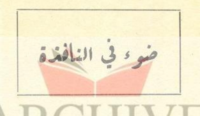
نموت .. نموت مسرعة    قفي ، لن تفجئي ظني
عرفت نموك الموتور يركض سائلا عني
نمو الكرمة العذراء مسرعة الى الدن؟
الا تخشين ما يلويك عن قصدي وما يثني
أخاف الحب أن يطغى    فيهدم منك ما يبني
اليس الحب في الدنيا    عدو القلب كالضغن
تقول الارض لا اعلم من القاه في حضني
لقيط عدني أما    له وحسبته ابني
خليط مشابه فيه    من الاملاك والجن
عفافة شهوة تسمو    وشهوة عفة تزني
تحدر في اشتهاء الشمس يرشف قطرة النتن
وصعد في حنين الريح يمسح دمعة المزن
عصارة فرحة فارت    على وقد من الحزن
جهنم نار خمرته    ومغرسها ربى عدن
سلي كم رشفة رجعت    تصك السن بالسن

❋

قرعت هواي فاتئدي    بباب مماطل الاذن
ارى العصفور لا يلجأ    يوم الصحو للوكن
اريدك صورة تبقى    مسمرة على ذهني
فلا تهوي ولا تلوي    ولا تدنو من الوهن
اخاف القرب ان يمحوك من قلبي ومن جفني
قفي لن تسكني بيتي    كفاك سكنت في فني !!

**فارس سعد**




بقلم الدكتور عبد السلام العجيلي

وقف يرد طيات معطفه على وجهه ، يتقي به المطر ، وهو يتطلع الى النافذة الجانبية في المنزل المقابل ، عبر الشارع ، ينتظر ان يضيء النور وراء زجاجها . لقد طال وقوفه في الزقاق المعتم والنافذة ما تزال مظلمة . واخذت قطرات المطر تتلاحق وزخاته تشتد ، وضايقه هذا اول الامر الا انه ما لبث حتى حمده ، فان هطول المطر سيخفف من مرور الناس في هذه الناحية ، وسيقل به تعرضه الى ان يراه انسان يعرفه واقفا هذه الوقفة الغريبة في هذه الساعة من الليل . كان يمكنه ان ينتظر في سيارته حتى تضاء النافذة ، الا ان من يعرفه يعرف سيارته ، وهي ادعى الى ان تلفت نظر من قد يمر به في وقفته الى جانب الرصيف . وبدا شبح حارس الحي مقبلا من احد المنعطفات ، فابتعد هو الى المنطقة الظليلة بجوار الجدار ، راجيا ان يمنع المطر الحارس من اتمام جولته والمرور بالنقطة التي يقف فيها . انه لم يحسب حسابا للحراس ، ولا بد من ان هذا الحارس يعرف كل منازل الحي ويعرف اهلها فردا فردا ، فماذا يحدث لو انه رآه يتسلل الى مدخل البناية في ساعة ليست الزيارات العادية فيها امرا مألوفا ؟ وماذا حدث لسلوى فلم تضيء النافذة حتى الان ؟ وتطلع الى الساعة : كانت العاشرة وثمانية عشر دقيقة ... فتملكه ضيق رجل الاعمال الذي تعود الدقة في المواعيد ، اذ تأخرت اضاءة النافذة ثمانية عشر دقيقة . لقد قالت سلوى ان اهلها قبل العاشرة بكثير يكونون قد آووا الى جناحهم واستسلموا الى النوم ، وان اختها لن تعود من السينما ، مع خطيبها ، قبل منتصف الليل ، لذلك فانها ستضيء النافذة في العاشرة . وهذه تسعة عشر دقيقة قد مرت بعد العاشرة ... فماذا حدث لسلوى؟

لم يحدث لسلوى شيء في الواقع ... ولكنها كانت في حيرة اي اثوابها تلبس له . اتراها تبرز له وهي ترتدي هذه المنامة الوردية المزينة بازهار ارجوانية ، الرقيقة ، اللاصقة بجسدها الفتي لصوقا ملحا حتى لترتسم به كل ثناياه وتكوراته ؟ ولكن لا ، ماذا يكون رأيه فيها حينئذ ؟ نعم انها فتاة لعوب ، ولكنها ليست داعرة ولا ماجنة . لقد دعته الى دار اهلها ، الى غرفتها في دار اهلها ، في هذه الساعة ، حين يئست من ان تلتقي به في مكان اخر . نزهة في السيارة ؟ قال لها : هذا لا يليق بي انا . جلسة في زاوية من فندق كبير ؟ قال لها ، كل الناس تعرفني في كل الفنادق الكبيرة . سهرة في احد المرابع الليلية الخافتة الانوار ؟ قال لها هذا لا يليق بك انت !.. وما كان اسعدها حين تحمس لفكرة هذه الزيارة المسائية ، في غرفتها المنعزلة الا عن غرفة اختها . اما اختها ، سهام ، فقد رضيت ان تصاحب خطيبها الى السينما ، وقالت وهي تغمز بعينها : احذري يا سلوى ... ليس لدي اعتراض على ان تتابعي مع مديرك دراسة اعمال مؤسسته في هذا الركن الشاعري ، فانا ارى مديرك جذابا ، ولكني احذرك من ان اللعب بالنار قد يحرق الاصابع !.. الا ان سهام تنظر الى الرجال ، كل الرجال ، ومنهم خطيبها ، نظرة غير نظرة سلوى الى مديرها . نعم ، انها سترتدي له ثوبها الاسود المطرز بنثرات من القصب دقيقة . فهو ثوب مساء لم تذهب به ولا مرة واحدة الى عملها ، مربع فتحة الصدر واسعها ، يستطيع منها ان يرى نصوع بشرة صدرها وتوثب نهديها فوقه . سترخي شعرها حتى يلامس كتفيها حافا بعنقها . وربما جرى باصابعه الطويلة ، ذات الاظافر الحسنة الاستدارة ، المصفارة بعض الشيء من اثر التبغ ، على ذلك الشعر متحببا . وربما القت هي شعرها على كتفه ، مسندة راسها الصغير الى صدره العريض . وقد يجلس هو على الديوان ، في هذه الناحية ، وتضع هي راسها على ركبته متطلعة الى وجهه ، الى شفتيه المنفرجتين بابتسامة اعرض بكثير من تلك التي ترتسم عليهما حين تدخل اليه المكتب في كل صباح .. ومتطلعة الى عينيه الواسعتين بنظرتهما الجادة في غير قسوة ، والى راسه ذي الشعر الكثيف الذي استحال في الفودين الى فضة براقة بينما ظل في القمة اسود حالكا . ما احبه من مدير ، هذا الذي يحتوي ، في كل صباح ، كفها الدقيقة بكفه العريضة ، والذي يقف الان في العتمة والمطر ، يسحب انفاس لفافته في حدة وانظاره متعلقة بزجاج نافذتها . الساعة الان العاشرة والدقيقة الواحدة والعشرين . انتظر يا حبيبي ، فليس سهلا ان البس هذا الثوب لوحدي ... دقيقة واحدة وانير لك النافذة ...

اما هو فانه شعر في الدقيقة الواحدة والعشرين بعد العاشرة بأن قلبه بدا يدق في صدره بعنف . اهو الترقب وطول الانتظار ؟ ام هو توقعه ان يسطع النور في النافذة بين لحظة واخرى ؟ ام هو خوفه من ان لا تضاء النافذة ابدا بعد ان تأججت اشواقه وعنف وجده ؟... لقد كان يتراءى له ، من طول ما حدق عن بعد بزجاج النافذة الادكن ، ان يدا ، هي يد سلوى ، كانت تلوح له من وراء الزجاج ، او ان وجهها

كان يلتحق به ، او أن خصلات شعرها الاسود كانت تتماوج خلفه . كان يعلم ان النافذة لم تكن في غرفة سلوى ، ولكنها نافذة في ممر جانبي، وانها ستضيؤها لتعلمه ان اهلها ناموا وانها في انتظاره على عتبة الباب ، ولكنه كان يراها بعين نفسه حتى حيث لا يمكنها ان تكون . نعم انها ستكون في انتظاره نضرة القسمات ، ندية الروح ، يلفها الشذى الرقيق الذي تذيعه في غرفة مكتبه كلما دخلت عليه في الصباح تحمل بريد قسمها في المؤسسة ، منذ ما دخلت المؤسسة موظفة ، لا عن حاجة ، ولكن لتثبت لابيها انها قادرة على ان تستقل بنفسها وان تعمل . يا لها من جنية رائعة الجمال ! اصحيح انها تتهيأ للقائه ، وانها تتزين له الان ، وانها بعد قليل ستدني راسها اليه باكثر مما تدنيه كل صباح وهي تقلب الاوراق امامه بينما هو يضع توقيعه في اسفل تلك الاوراق بعجلة وعصبية ؟ لو انها تدري اي دوار كان يتملكه حين كان يدير راسه فجأة فيلحظ من صدرها ، وهي منحنية على الاوراق بجانبه ، الظل الناعم للفرجة ما بين نهديها ! وحين كانت تحييه في الصباح ... لو تدري بأي جهد كان يتمالك نفسه كي لا يمد اليها يديه الاثنتين ، فيتناول بهما يديها ، ويدنيها اليه حتى يلصق صدره بصدرها ويطوق بذراعه خصرها ، ويمرغ شفتيه على خصل شعرها المرفوعة عقيصة فوق نقرتها ! لقد كان يقسر نفسه على ان لا يزيد ابتسامته لها قيد شعرة عن ابتسامته لزملائها وزميلاتها ، وعلى ان لا يفيض في الحديث معها في امر سوى عملها لئلا يبدو ضعفه حيالها واضحا لمن يكون عنده عند دخولها اليه ، ولئلا يتهاوى امامها بكل نفسه حين تكون عنده وحدها . اما في هذه الامسية !... ولكن ما لهذا القلب يطرق بكل هذا العنف ؟ اتراه قد احتد لا لانفعال بل لمرض او ضعف؟ ومع ذلك فانه لم يشخ ، لم يبلغ الخمسين بعد ، وعضلة قلبه لا تزال شابة . وابتسم لنفسه ، وهو يفاجيء احدى يديه تسير الى معصم الاخرى تتحسس نبضها كما يفعل الاطباء ، وقال لنفسه : هكذا يفعل الحب بمن قارب الخمسين ! وخطرت بباله في هذه اللحظة السيدة ماري ، صاحبة المنزل الذي كان يسكنه حين كان تلميذا في الجامعة ... ايه ، الست ماري ! ان كلمتها تدوي الان في اذنه . دخل في ذات مساء الدار فوجدها في بهوه ومعها صديقتها روز



**الدكتور عبد السلام العجيلي**

ذات الصوت الذهبي وجارتها عفيفة ممسكة بالعود ، ورأى احمد ومروان زميليه في الدراسة والسكن ، يصفقان ويضحكان .. فحيا وانسل الى غرفته متأبطا كتبه ... لحقته بعد قليل الست ماري ، فدخلت الغرفة واغلقت الباب وراءها . قال لها : تفضلي ياجارة ، بينما كان مشغولا بفتح احد المجلدات على المنضدة . فاقتربت منه واغلقت الكتاب امامه وقالت : اسمح لي ياجار ، واسمع مني ! فتطلع اليها دهشا ، فهو لم يرها قبل الان تتحدث اليه بمثل هذه اللهجة ، او ، على الاصح ، انه لم يترك لها المجال لان تحدثه في يوم ما في شيء غير امر الغرفة واجرها ، والملابس وكيها ، والفراش وترتيبه. اما في ماعدا ذلك فقد كان يدخل ساكتا ويخرج ساكتا ولا يشارك ، مثل احمد ومروان وسائر النزلاء ، في رواية القصص الضاحكة والتعليقات الماجنة وسماع العود وغناء روز .

قالت الست ماري : « اسمح لي ياجار واسمع مني ، فانا امرأة اكبر منك واكثر تجربة ... لماذا لاتمرح معنا وتنبسط ؟ تمتع بالحياة ياجار ... اجهل في ايام صباك ، والا فانك ستجهل حين تشيخ وتكبر ، وستكون عند ذاك مصيبة ! » هذه هي كلمات السيدة ماري التي عادت الى باله في تلك اللحظة . وابتسم ، ولو انه كان يرى نفسه في مرآة لادرك كم كانت حزينة ابتسامته ...

تساءلت سلوى ، اتراها لم تسرف في سكب العطر وراء فتحة الثوب على الصدر ، وفي مسح عنقها وراء اذنيها ؟ لقد سمعته في المرة الوحيدة التي امتدح فيها عطرها يثني على رقة هذا العطر ونعومة شذاه ، فهل تراه يضايقه ان يفوح جسدها بعبقه عنيفا مسكرا ؟ وقصدت الى النافذة تتطلع منها اليه قبل ان تشعل النور . ذاك هو ، على الرصيف المقابل ، تلتمع سيكارته في فمه ، طويل القامة ، يستر معطفه الشتوي اناقته الدائمة ، معلق العينين بهذه النافذة التي وقفت وراءها . لقد اتعبتك بالوقوف في البرد والمطر والظلام ايها الانسان الحبيب ! وادارت الزر ، فملأ النور المر واضاء النافذة ، وخرج هو من العتمة فنزل من الرصيف وعبر الشارع في اتجاه الرصيف المقابل.

قبل ان يبلغ وسط الشارع رأى سيارة مقبلة على مهلها في اتجاهه ، فتأخر خطوتين ثم توقف لئلا تصيبه برشاش المطر المتطاير من دواليبها . وكان الرذاذ المتهاطل يلمع كشرارات متلاحقة امام ضوئيها المخترقين لظلمة الشارع في مخروطين متنقلين على الاسفلت اللماع . وحين مرت السيارة ازاءه لمح وراء السائق رجلا وامرأة . ادارت المرأة راسها تنظر اليه ، واستمرت

في التفاتها اليه حتى بعد ان تجاوزته. اتراها تعرفه ؟ ربما كانت سميرة ، فالطريق الى دارها يمر بهذا الشارع. لعلها ستكلمه غدا بالهاتف تسأله ماذا كان يفعل في تلك الساعة في ذلك الحي البعيد عن منزله . اتراه يملك الجراة على ان يقول لها انه كان في طريقه الى موعد غرام ؟ ستضحك اذن وتقول له : اغرام بعد الخامسة والاربعين ؟.. وعاد الى نفسه يحدثها اين انت ياست ماري اليوم ؟.. ها قد جهلنا على الكبر كما قدرت .. لو ترينني واقفا في الظلمة والمطر في انتظار ان يسطع النور في نافذة مظلمة ، متسللا الى بيت لم ادخله قبل اليوم من باب جانبي ، خائفا من الحراس ومن الجيران ومن امراة تدير راسها الي وهي تقطع الشارع في سيارة ... اليس هذا هو جهل الكبر الذي كنت تقصدين ؟!

تطلع الى الساعة في يده فوجدها تشير الى الدقيقة السابعة والعشرين بعد العاشرة ، لقد مضت عليه خمس دقائق كاملة وهو في مكانه يستعيد كلمات السيدة ماري في ذهنه ويخاطبها في خياله ، وقد آن له ان يترك هذه الوقفة في وسط الطريق . وحين بلغ الرصيف الذي يقع عليه منزل سلوى لم يدخل من باب البناية بل استمر يسير في طريقه ... تحت المطر .

***

عادت سهام في الساعة الحادية عشرة والنصف ، متعمدة ، الى الدار ، على الرغم من الحاح خطيبها عليها في ان ينهيا السهرة في احد المرابع الليلية . كان في نيتها ان تتخابث مع اختها ، فتفاجؤها بالحضور مبكرة بعد ان وعدتها بان تخلي لها الساحة حتى منتصف الليل على الاقل . ولكن الواقع انها ، اي سهام ، لم تستطع ان تركز ذهنها على اي من فصول الفلم الذي كانت تشهده ، لما كان يغلي في صدرها من مشاعر هي مزيج من الفضول والرغبة ، بل ومن الغيرة ، وهي تتصور اختها في غرفة واحدة ، في منتصف الليل ، مع ذلك المدير الباهر الشخصية العارم الرجولة . وكان المنزل غارقا في الظلام عندما دخلته سهام . فخطت بهدوء الى باب غرفة اختها الذي كان مواربا فلم تسمع صوتا في البدء ، ثم لم يلبث ان تناهى الى سمعها صوت نحيب خافت . اضاءت النور حينئذ فالفت سلوى مكبة على الفراش بوجهها تنشج ، بينما كان على الارض ثوبها الاسود المطرز بنثرات من القصب دقيقة .

قالت سهام وهي تغرق يدها في شعر سلوى الذي كان يغطي المخدة :

ـ لم يأت ... اليس كذلك ؟

فارتفع نشيج سلوى عاليا . حينئذ ضحكت سهام ضحكة قصيرة ، ومست بأصابع يدها على فخذ سلوى المتماسك الذي كان عاريا فوق الفراش ، وقالت:

ـ هو الخاسر بهذا صدقيني ... انه لا يستحق النعمة التي اتيحت له. كفي بكاء ياحبيبتي .

الا ان سلوى لم تكف عن البكاء . حينئذ انحنت سهام فوقها وقد امحت كل المشاعر التي كانت تملأ صدرها وحل محلها الاشفاق على اختها ، وقالت :

ـ هذا الصنف من الرجال انت لاتعرفينه يا اختي ... ولذا حذرتك من ان اللعب بالنار قد يحرق الاصابع، وربما احرق القلب كذلك . اتظنين مديرك صبيا مراهقا حتى يقف في البرد والمطر الى اخر الليل ، في انتظار اشارة منك ، لكي يتسلق مثل روميو الشرفة في سبيل ان يلتقط قبلة من ثغر جولييت ؟ ان له زوجته ، وله صديقات من مستواه يبادلهن الغزل بريئا وغير بريء اذا حن الى الغزل ، وربما كانت له صاحبة ينفق عليها ويزورها في مواعيد منتظمة . اما انت فانك ترينه رافع الراس مستقيم الخطى نظيف القميص فتظنين قلبه وسلوكه كذلك . هيا كفي عن البكاء ونامي ... يجب ان لاتريه صباح الغد انك متأثرة من كونه اخلف الميعاد ...

في تلك الاثناء كان هو يفتح ، في النادي على اصدقائه ، باب الغرفة التي كانوا يلعبون فيها ويشربون . صاح واحد منهم :

ـ اهلا بسامح بك . يبدو ان العاصفة في الخارج من الشدة بحيث انها قذفت بك الينا على خلاف العادة ، بعد ان بللت حذاءك وبعثرت شعرك ...

فابتسم وهو يسوي شعره بيده وقال :

ـ تركت سيارتي بعيدا فلما عدت اليها فعل بي المطر ماترون .

فقال اخر ، وهو صديقه القديم احمد ، بينما كان يقدم له سيكارة :

ـ وتترك الزوجة الكريمة هكذا ، والاولاد ، لتعود الينا نحن اصدقاء السوء في منتصف الليل ؟... ماذا تشرب ، كأس وسكي ؟

قال : لا ، بل كأس عرق ، مثلكم !

فضحك احمد وقال :

ـ اف ، ماذا حدث ؟ ليس هواء العاصفة هو الذي غيرك كل هذا التغيير ...

فقاطعه صديق اخر من وراء طاولة اللعب قائلا :

ـ لعله الهوى يا اخوان ، لا هواء العاصفة بل الهوى الذي يغير الطباع ويقلب القلوب ... فهو وحده القادر على ان يجعل سامح بك يسير في المطر حتى تبتل ثيابه الى هذه الدرجة من يدري ؟ لعله كان ينظم قصيدة.. لقد كان ، في المدرسة شاعرا ... قبل ان تنسيه المخططات والخطوط البيانية والجداول بعشرات الالاف من الليرات الشعر . نعم ، انه الهوى ولا شك ...

فعاد سامح الى الابتسام ، الا ان احدا من اصحابه لم يكن يدرك اي مغزى كانت تحمله ابتسامته ، وقال :

ـ الهوى ، الا ترى ياصاحبي انا كبرنا عن الهوى ؟ دعونا من هذا ، وليعطني احدكم عود كبريت اشعل به هذه السيكارة ...

**الرقة ــ سورية عبد السلام العجيلي**

# من مجامر الصخور

« مجامر الصخور » كتاب معد للطبع يضم مختارات كتبت بين ١٩٤٦ – ١٩٥٢

**بقلم ثريا ملحس**

اسعى امجد ذاتي ، وعظامي تتكسر ، يا الهي لم انا اسجد ؟
والسماء تسبح بالبرد ، والصفصاف الباكي بالندى ، ومن روحي تجبل القوارير ، وفي الغابات تترنح .
تعب انا ، تعب يا غدي ، ماذا فعلت لي وتفعل ، حتى اخلدك في الامي ؟

*

الهي ، تعب انا ، لا تكلمني ، كلام .. كلام انت .
وانثنيت على المنحنى والضجيج يقتل كل ذرة ، والدوي لدم على جفوني الزاوية ، اسرعت انااملي الجامدة تتلو ورقة غب ورقة ، واشجار العراء اختلاجات ، فلي الغاب هبوب ، فأرعويت خوفا من ثورة هناك ، تحجبك عني ، وتضع بيني وبينك ستارا ، ستارا



... عاهدت نفسي ان اسحقك ايها الصخر .
عاهدت نفسي ان اجعلك ذراري تحت قدمي ، وهباء في سمائي .
عاهدت نفسي ان ادحرجك مقهورا عن طريقي الطويل
سأتعب ايها الصخر ، سأدفع دمائي في تحطيمك ، سيشف جسدي .
الامي تجدلني ، وفي الامي لذكرى ، فيها نشوة الانتصار على الغد ، وفيها راحتي
سأمشي في الطريق وعيناي صوب السماء ، وايماني على كفي
سيفرح غدي
سأحطم الصخر بكفي ، وامشي في الطريق واهدابي مربوطة بالنجوم
سأضرب الصخر بايماني ، سيفرح قلبي ، والامي
سأمشي في الطريق دون رفيق ، وعلى كفي احمل ايماني

*

في الكون عجب ، والهالة شد ، والقمر غصات ، والغيوم التقاء ففراق ، أين يدي ؟ اين يدي ؟
وانا شك ، يقين ، هبات صقيع ، والثلوج غطاء حكايات ،
اين يدي ؟ اسراب في سراب ؟

*

الهي .. سمعت ، سمعت الحان طائري ، همسات شجية ، كلها ترقد في اذني ، رايت طائري راكعا ، ضارعا الي ، فانصعت لانه مات بالامس ، عيناي تحدقان بطائري ، منقاده الصغير ارتجاف ، يداه انكسار ، رباه ..
الهي ، احي هو ؟.. احي هو ؟
تقطع يا قلبي اربا ، در يا راسي الما عيناه امامي دحرجة ، وصدره الذبيح انين .
هذي انااملي تقلصت ، وهذا فمي شده النحيب ،
واسناني تصطك رعبا ، واشباح ، اشباح حولي تطير .
انزعيه ... انزعيه يا يدي ، اطلقيه في الفضاء كي يطير .

*

حنان والوان ، وطيور الزبد اسراب تعج .
يا اندفاعي ما عساي اردد ؟

عفت الشراب الرعاق ، والزعيق يلفني ، فاندفع من ذاتي نداء ، هرولت اطوي الارض ، اطوي الغابات والاشجار ، واقدامي تحفر القبور ، وايادي تحوك الكفن
ورائي تبني السدود
وتتبعث الرياح الهجوم
ارتعشت الكواكب ، فاختنق الليل ، واطل الفجر الشحوب .

*

عجبت لنفسي كيف سارت في ملاوي الجبل ، وفي اذني صوتها الهديد ، وانااملي انثنت صخورا على اذني ....
ورائي جرجرت هولا عنيدا ، والما مهدودا
ابتساماتي صرير ، كانها شق الصخور
وانت على صقب مني يارب ، احسست بالجبال والوديان والبحار تزحف بينك وبيني .
زودتني يارب وقرا على وقري ، واتعبت اذني
دوي ... دوي هدني ، فيا ليل ، يا ايها الساجي ، كنت في وحدتي التمس منك الرجاء مهدهدا ، واليوم اراك قصفا مرعبا
عد ... عد يا ليل الى وحدتي ، لاسمع صوت ربي
ابعث من عيني ضياء ، يمسح سمائي انا انتظار ايها الليل ، انتظر ليل وحدتي .

*

ضممتها الى صدري ، رفرف قلبي ، فتكسرت على اضلعي ، انثنت عروقي عقدا ، فسكت الدم في قلبي ، احترقت رمادا فصرخت صامتة ، لا اعي
انطوت شفاهي حسرى ، وعانقت روحي ، ففامت عيناي سكرى ، انتفضت افتش عن ماء ، جفت العيون ، فسكتت الشلالات
زحفت حروف الي ، وحملتني حتى العياء
احدودبت راحتاي
فكرت من انااملي النجوم

# طبقة الفهماء

بقلم حسن الكرمي

من العروة الوثقى في لندن

* * *

اشتهر العصران السابع عشر والثامن عشر في اوروبا بأنهما مرحلة التنور في تاريخ الفكر البشري ، بمعنى ان الانسان ، بفضل ما اكتشفه من آراء جديدة في العلم النظامي والفلسفة ، اصبح متحررا من الوهميات ومن الافكار القائمة على سبق الحكم وعلى المأثورات عن القديم . ولكن القرن الثامن عشر كان اعلى كعبا في هذا المضمار ، ولا سيما في مضمار الفكر الحر وتعظيم العقل على حساب النقل . وكانت فرنسا قطب الرحى ، بفضل ما انجبته من رجال فهماء مفكرين امثال ڤولتير وديدرو ودالمبير وروسو ومونتسكيو ودولباخ وغيرهم . واتجه هؤلاء الفهماء في حركتهم الفكرية اولا ضد الكنيسة لانها كانت معقل المحافظة على القديم وثانيا ضد سلطة الحكم لانها كانت رمزا للاقطاع وواسطة لاخضاع عامة الشعب واغلبيته لطبقة معينة من الناس . واهم ما هاجموه في حملتهم ضد الكنيسة العقيدة « التومية » ، نسبة الى توما الاكويني ( ١٢٢٤ — ١٢٧٤ ) ، وقوام هذه العقيدة ان العقل ليس له مجال في المسائل الدينية والالهية ، وانما مجاله خاص به وحده ، ولا يجوز تقديم العقل على الايمان ، لان الايمان اصدق دليل واضبطه ، وهو لا يضلل الانسان بمثل ما يضلل العقل ، ولا سيما اذا استعمل العقل في غير الوجه الحق . هذه هي العقيدة التي هاجمها الفهماء في فرنسا ، وسعوا الى تقويض اركانها واسسها . وانتقلوا من ذلك الى مهاجمة الكنيسة نفسها ورجالها وسلطتها ، لان الكنيسة باتباعها العقيدة « التومية » اتخذت لنفسها مركز « حامي الحقيقة » . وفي هذا بحث طويل لا مجال للخوض فيه هنا . فلنترك الدين ناحية ولننتقل الى الناحية الفكرية الاجتماعية والسياسية ، وهي الناحية التي مهدت لقيام الثورة الفرنسية في اواخر القرن الثامن عشر .

من الغريب في تاريخ طبقة الفهماء في فرنسا ان هؤلاء ، على عظم ما كانوا عليه من القريحة الادبية ومضاء الذهن ، لم يتفرغوا لادبهم وحده . بل خلطوا بين الادب والسياسة والدين ، على عكس الادباء الالمان في ذلك الوقت . واختلفوا عن رجال الادب في بريطانيا ، لان الادباء الانكليز انخرطوا في سلك المجتمع وساهموا في الاعمال الحكومية ، وهم ظلوا منعزلين اجتماعيا وحكوميا وفكريا . وجعلوا همهم في كتاباتهم الخوض في المسائل الاجتماعية ومبادىء الدولة ، فطرقوا مثلا موضوع اصل المجتمع البشري ، واصل حقوق المواطن وحقوق الدولة ، واصل العلاقات الطبيعية والصناعية بين الافراد ، واصل العادات العرفية واصل القانون . ورغما عن تباين الآراء بين الكتاب الفرنسيين في ذلك الوقت عن هذه الموضوعات جميعها ، فان الفكرة التي تجمع بينهم هي ان النظام الاجتماعي ، بما هو عليه من تعقيدات وتشابكات ، يجب ان يستبدل بنظام آخر يكون بسيطا ويكون مصدره التفكير المحض والقانون الطبيعي . واول ما وضعوه في المقدمة هو ان الناس سواء لا فضل لانسان على اخر ولا لطبقة على اخرى ، وان الماضي بجميع وجوهه ونواحيه يجب ان يزول وان يستعاض عنه بنظام جديد يمليه العقل وحده . وانقطاع هؤلاء الفهماء عن الاتصال بالشعب من جهة وبالحياة العملية والحكومية من جهة اخرى جعلهم يمعنون في تصوراتهم الفكرية امعانا شديدا ، على عكس الفهماء في بريطانيا وفي اميركا مثلا . واتصف هؤلاء بالخيلاء الفكرية ، فكانوا في الحقيقة ، مع ايمانهم بعظمة العقل ، لا يؤمنون الا بعظمة عقولهم . وادت بهم هذه الخيلاء الى التقليل من اهمية الافكار عند العامة ، بل الى احتقار عامة الشعب من الناحية الفكرية ، بعكس الفهماء في بريطانيا واميركا الذين حافظوا على مراعاة شعور عامة الناس واغلبية الشعب . ولكن النتيجة ان زمام الحركة السياسية اصبح في ايدي الفهماء في فرنسا بدلا من ان يكون في ايدي السياسيين كما في البلاد الاخرى .

ومن الغريب ايضا في قضية الفهماء قبيل الثورة الفرنسية ان طبقة النبلاء في فرنسا كانت سادرة في عميائها ، ولم تدرك ان هؤلاء الفهماء لا يسعون الا للقضاء عليهم وعلى النظام الذي يعيشون فيه . فكانوا يشجعون الفهماء ليستعينوا بهم في القضاء على سلطة الملك ، وكان الملك يجد في الطبقة المتوسطة اكبر عون له على هؤلاء النبلاء . فكأن الفهماء في ذلك الوقت شقوا طريقا لهم بين هذين الاتجاهين السياسيين ، وعملوا عملهم فاطمعوا الشعب بأن المستقبل يخبىء لهم ، اذا تحرروا ، مجتمعا كماليا وحكومة مثالية . ورأى الشعب دليلا عمليا على ذلك وهو الثورة الاميركية . فآمن بآراء زعمائه المفكرين ، وجميعها آراء تصورية مجردة مبنية على الكلمات الطنانة والتعميمات المغرية . ولم يحدث في تاريخ امة سابقة ان يكون الادباء هم قادة الثورة فكريا وقادتها عمليا معا . وهكذا كان .

قلت ان طبقة الفهماء في فرنسا في القرن الثامن عشر كانت تستهين بعامة الشعب ، بعكس هذه الطبقة في بلاد اخرى . وقد ذكرت آنفا هذا الخلاف مع طبقة الفهماء في بريطانيا واميركا . واريد الان ان اعرج باختصار بقدر الامكان على موقف هذه الطبقة في روسيا قبل الثورة واعتمد في قولي هذا على غوركي ( ١٨٦٨ — ١٩٣٦ ) ، وعلى دستويفسكي ( ١٨٢١ — ١٨٨١ ) ، وعلى برديايف ( ١٨٧٤ — ١٩٤٨ ) لابين بايجاز كيف ان الاتصال كان وثيقا بين الفهماء وعامة الشعب ، بل ان الفهماء الروس كانوا

يتصفون بحرصهم على الدفاع عن حقوق عامة الشعب . ويرى دستويفسكي ان التجافي والانفصال بين الفهماء وعامة الشعب من اشد الفواجع . ويحض على وجوب الاتصال بين الطرفين وعلى ضرورة اهتمام الفهماء بما هو في مصلحة الشعب ، لان الشعب في رايه هو مصدر الحقيقة . ويرى بردايف ان هذه الدعوة الى الاهتمام بالشعب دعوة روسية خالصة واتجاه يختلف عن اتجاه الفهماء في فرنسا مثلا . اما غوركي فقد انب الادباء والفهماء لانعزالهم عن الشعب ولعدم تحملهم المسؤولية الاجتماعية وعدم التوحيد بين قضيتهم وقضية الطبقات العاملة . ولعلني اعود الى تفصيل ذلك في مقالات قادمة .

قلت ان فرنسا في القرن الثامن عشر كانت مركز الحركة الفكرية التحررية التي تقوم على تحكيم العقل دون النقل وعلى الفحص والمشاهدة والمراقبة عن طريق الاسلوب العلمي الذي دعا اليه العالم الانكليزي بيكن ( ١٥٦١ — ١٦٢٦ ) من قبل ، وهو الاسلوب الذي قال عنه انكلز ( ١٨٢٠ — ١٨٥٩ ) صديق ماركس ( ١٨١٨ — ١٨٨٣ ) ان الاوروبيين تعلموه من العرب . ويرجع تاريخ هذه الحركة الفكرية في الاصل الى المدنية الاغريقية والى فلاسفة اليونان العقليين ، وعلى راسهم افلاطون وارسطو ، ولو ان هذه الحركة خالفت تلك الفلسفة في اسس عديدة . واهمل العرب فلسفة افلاطون واهتموا بغيره ، وخصوصا ارسطو ، ولا سيما على يد ابن رشد في الاندلس ( ١١٢٦ — ١١٩٨ ) الذي اوجد فلسفة له عرفت بالفلسفة الرشدية وكان لها تاثير كبير جدا حمل توما الاكويني على معارضتها وايجاد فلسفة جديدة عرفت بالفلسفة القومية كما ذكرت آنفا .

كان افلاطون ( ٤٢٧ — ٣٤٧ ق.م ) يعتقد مثل هراكليتس ( ٥٤٠ — ٤٧٥ ق.م ) ان العالم الطبيعي في تحول دائم ، وان العلم القاطع لا يمكن لهذا السبب الحصول عليه من هذا العالم الطبيعي . ولهذا فان افلاطون كان لا يثق بالمعلومات المستفادة من العالم الخارجي بطريق الحواس ، ولا يؤمن بفائدة الاختبارات والمشاهدة لان هذه لا يمكن ان تثبت شيئا . وزاد على ذلك بقوله ان تقليب الاشياء بين الايدي ومعالجتها وفحصها امر لا يليق بالاغريقي الحر ، لان هذا من شأن العبيد وليس من شأن الاحرار . وقال ان العقل يجب ان يبتعد عن العالم الطبيعي لان الحقيقة لا يمكن الوصول اليها عن هذا الطريق بل عن طريق التفكير المجرد والتخيل الفكري وحده . ومن هنا جاء ضرر افلاطون على التفكير العلمي مدة قرون عديدة ، ووجدت فلسفته ، حتى في القرن السابع عشر ، من يناصرها في شخص الفيلسوف الفرنسي ديكارت (١٥٩٦ — ١٦٥٠) .

اما ارسطو ( ٣٨٤ — ٣٢٢ ق.م ) ، فمع انه كان باحثا طبيعيا ، فقد سار في آخر الامر على نظرية افلاطون من هذه الجهة ، ولو انه خالفه من جهات اخرى . فكان يقول ان التأمل هو اسمى ما يصل اليه الانسان من كمال ، وان النظريات الفكرية المجردة تفوق العمليات . ولعل ارسطو كان اول من وضع مبدأ التفكير اولا ثم التطبيق ثانيا ، على عكس الاسلوب العلمي ، وهو المبدأ الذي سار عليه رجال الدين في القرون الوسطى لاثبات صحة الكتب الدينية . مثال ذلك ان ارسطو كان يرى في فكره ان الشكل الدائري هو الشكل الاكمل . ولذلك فان الكون يجب ان يكون على شكل دائري او كروي ، لانه اذا لم يكن كذلك كان خالقه غير كامل وهذا محال . ومن هنا وضع ارسطو نظريته في شكل الكون وقال انه عبارة عن كرة عظيمة وفيها كرات تمثل النجوم السيارة ، وجميعها تدور حول الارض التي هي مركز الكون . وقد ظل مبدأ ارسطو العلمي هذا متبعا قرونا عديدة وسيطر على المعتقدات الدينية في القرون الوسطى وفيما بعدها الى القرن السابع عشر ، حتى ان العالم غاليليو ( ١٥٦٤ — ١٦٤٢ ) عد مارقا من الدين لانه جاء بنظرية تخالف نظرية ارسطو الفلكية .

ومن الامثلة على تطبيق مبدأ ارسطو في الفكر العلمي ان احد كبار رجال الدين ، وهو القديس اوغسطين ( ٣٥٤ — ٤٣٠ ) اراد ان يثبت ان الله خلق العالم في ستة ايام ، ولماذا خلقه في ستة ايام ولم يخلقه في خمسة او سبعة مثلا . فقسم الاعداد الى ثلاثة اصناف : (١) الاعداد الاكثر كمالا (٢) الاعداد الكاملة (٣) الاعداد الاقل كمالا ، وقال ان العدد ستة هو اول الاعداد الكاملة ، ولذلك فان الله خلق الكون في ستة ايام لان العدد ستة هو عدد كامل . ولو خلق الله العالم في عدد اخر من الايام لما كان عمل الخلق هذا كاملا ، وهذا كفر ومحال . ومن الامثلة ايضا ان بعضهم ، وهو فرانسسكو سزي ، كان يرى ان النجوم السيارة يجب ان تكون سبعة لا غير ، وهي القمر والشمس وعطارد والزهرة والمريخ والمشتري وزحل ، لان منافذ الراس سبعة وهي المنخران والعينان والاذنان والفم .

هذه امثلة على الفلسفة التي سعى اكثر المفكرين الفرنسيين وغيرهم في القرنين السابع عشر والثامن عشر للقضاء عليها . والان ، بعد هذا الاستطراد ، انتقل الى ناحية اخرى في حياة الفهماء الفرنسيين الاجتماعية ، وهي الحياة البوهيمية .

كان الادباء في القرون الوسطى وفي اوائل القرون الحديثة متصلين بالكنيسة وبالنبلاء . ولكنهم انفصلوا ، وكونوا لانفسهم طائفة مستقلة ، لا علاقة لها كبيرة بالنبلاء ولا بالشعب عامة . واخذ افراد هذه الطائفة يجتمع بعضهم الى بعض ، واتخذوا المقاهي مكانا لاجتماعاتهم ، يتباحثون فيها في افكارهم وفي موضوعات كتاباتهم . وكان ديدرو ( ١٧١٣ — ١٧٨٤ ) صاحب الموسوعة قدوة الفهماء الفرنسيين في حياتهم البوهيمية هذه ، وفي عدادهم سان — سيمون ( ١٧٦٠ — ١٨٢٥ ) الفيلسوف الاشتراكي واوغست كونت ( ١٧٩٨ — ١٨٥٧ ) صاحب

# يا صديقي

***

لك في اكناف قلبي مربع     رتعت ذكراك في مغناه حينا
واستلاذت بحمى افيائه     كصغير مد للام يمينا
فانحنت حدبا عليه حينما     هتك الدمع لها السر المصونا
طفلته وعلى مبسمها     بارق الآمال يغوي الناظرينا
علقت كفا بكف ولقد     الصقت خدا بخد وجبينا

ما حنايا الصدر الا معبد     كان في محرابه رسمك زونا
وفؤادي ناسك في كهفه     لا يني يرنو لمرآك حنينا
كلما ذكراك في روحي سرت     بعثت في اضلعي الوجد الدفينا
فأصر الصدر اشفاقا على     كبد فجرها الدمع عيونا
انت لحن غامض في خاطري     رددته الروح في البلوى انينا
وصلاة وقعت الحانها     ادمع ادمت من الوجد جفونا

لا تعد لي ذكريات ملؤها     الالم المحض ودع عنك الظنونا
لست ممن يحمل الحقد اذا     عقني خل وخان الاقربونا
اغفر الذنب واغضي ناظري     عن اخي ان صرم الحبل المتينا
واجازي الشكر بالشكر اذا     اصبح النكران بين الناس دينا
ان اخ لم يرع عهدي سفها     ومضى في غيه كالجاهلينا
وقسا قلبي عليه حنقا     بعد طول الصبر والحلم سنينا
لم ازل التمس الصفح له     واغش القلب بالاعذار حينا

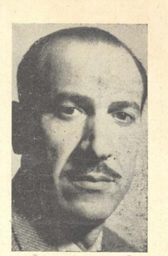
وغط الدهر ولم يغفر فما     ولقد كان بما قص امينا
اشنع الاخصام من تأمنهم     فاحذر الناس ولا تأمن خدينا
خير اخوانك لو فندتهم     دمعة تمحي عن الصدر الشجونا

دمشق     **عدنان مردم بك**



الفلسفة اليقينية **Positivism** . هؤلاء البوهيميون، رواد المقاهي في باريس ، كانوا يجدون في معيشتهم هذه ملجأ من المجتمع حولهم ينقطعون فيه عنه ومكانا لابحاثهم ونظرياتهم . وكان لهذه المعيشة ناحيتان : ناحية ايجابية وهي التفكير ووضع الآراء والافكار الجديدة ، وناحية سلبية وهي الانقطاع عن الاتصال بالمجتمع عموما وبعامة الشعب خصوصا ، والتمرد على النظم الاجتماعية والمعايير المأثورة . ولم يكن هؤلاء يعبأون بالفروق بين اصناف المجتمع ، وكانوا يعتبرون انفسهم طائفة واحدة ، لا عبرة في ذلك باختلاف الطبقات الاجتماعية التي ينتمي اليها أفرادها . وكانت الصلة التي تجمع بينهم وتوحد بين صفوفهم خدمة العلم وتقديس العقل . والنوادي في بلاد الانكليز والمقاهي في البلاد العربية كانت ولا تزال تقوم مقام المقاهي الباريزية بالنسبة الى طبقة الادباء والفهماء .

لندن     **حسن الكرمي**



سعد صائب

# سيرجو كوراتسيني ... شاعر من ايطاليا

بقلم سعد صائب

* * *

ليس لدارس الادب الايطالي أن يركن الى الشعر المعاصر فحسب ، ويدع ما يجب عليه من التنويه بما كان لايطاليا ذاتها من فضل لا يجحد على اوروبا في عصر النهضة ، وهو الفترة التي أعقبت القرن الثالث عشر وامتدت بين عامي ١٣٠٠ – ١٥٣٠ . ولن ينال اي دارس ما يبتغي ، الا اذا عرف ما في هذا العصر من الغناء والكفاية ، ولولا خوفي من الاطالة لأفضت بالحديث عنه واخبرت ببعض محاسنه ، وصرحت بحقيقته ، وبما عقد الدارسون الاجماع عليه .. وحسبي ان اذكر انه كان عصر بعث واحياء للعلوم والفنون والاداب . فما أن أطل حتى هزمت شمسه المشرقة ظلام العصور الوسطى الدامس ، وكان الفضل في هذا كله عائدا الى ايطاليا التي احتضنت العلماء والفلاسفة والمفكرين الذين هاجروا اليها عند سقوط « القسطنطينية » في ايدي الاتراك ، فأمست موئل النهضة ، ومهبط النور ، وراحت تنقل في ايمان وعزيمة ومضاء تراث اليونان والرومان وتضيف اليه ، مما أدى الى تحرير المدن ، وتحوير النظم السياسية والاجتماعية ، وخلق مبتكرات في الادب والفن لم يشهد لها تاريخ اوروبا مثيلا من قبل .. فوعى الانسان في هذا العصر حقيقته ، وأعطى مضمونا جديدا لروح جديدة وحرية جديدة دفعت به الى الابداع والخلق والابتكار ، وهكذا قامت النهضة بكشف عن العالم وكشف عن الانسان كما قال « ميشليه » . ولئن ابدع « دانتي » الذي عاش في النصف الثاني من القرن الثالث عشر ( ١٢٦٥ – ١٣٢١ ) والنصف الاول من القرن الرابع عشر « ملهاته الالهية » قاصدا فيها اقامة « عالم جديد أساسه العدالة والحرية والنظام والوحدة والتطهر والصفاء والحب والامل » فان ثمة نوابغ ظهروا في ايطاليا – بعد دانتي – كا نلهم شأو في عصرهم وما تلاه . فالشاعر « بترارك » ( ١٣٠٤ – ١٣٧٤ ) غدا بقصائده الغنائية نموذجا يحتذى ، واعترف للكاتب « بوكاتشو » ( ١٣١٣ – ١٣٧٥ ) بمكان الصدارة في كتابة القصة الصغيرة حتى عد اول مبدع لها ، ناهيكم عن شعراء وكتاب وفنانين كانوا الدعائم القوية الثابتة لبناء الادب او الفن الايطالي المعاصر ، والجدير بالذكر ان ادبها او فنها ما خفتَ او ضعف عقب عصر النهضة ، لانها بقيت في حلبة الاخذ والعطاء تتداول ما تقتبسه في حرارة واعتدال ، متفرعة بوعيها ، وبما وهبته من نوابغ بوأوها المكان المرموق في عصرنا . ولا غرو ان يغدو هؤلاء النوابغ مثلا يحتذى، بما وضعوا من نماذج فنية ، وبما ابدعوا من روائع في الشعر والنثر .. واذا ما أجلنا الطرف في شعراء ايطاليا المعاصرين (١) فثمة الشاعران الكبيران « غبرييلي دانونتزيو » و « جوزيه كاردوتشي » نراهما يطبعان الشعر الايطالي – في مطلع القرن العشرين ، وخلال الربع الاول منه – بطابعهما الكلاسيكي ، وهو طابع يمتاز بقوة الروح وقوة التعبير ، وشدة الاسر . ثم طفت علىالشعر الايطالي موجة جديدة عرفت بالموجة « الانغلاقية » التي سبق ان ظهرت اولا في فرنسا ، ثم وصلت الى ايطاليا ، وكان من اوائل من ادخلوها في الشعر الايطالي المعاصر الشاعر جوزيبه اونغاريتي الذي لم يلبث ان خلع طابعه الجديد على جيل من الشعراء ظهروا خلال الفترة التي تلت الحرب العالمية الاولى حتى اليوم .. وليس من شك في ان الشعر الايطالي المعاصر يمتاز بالانطلاق والرمزية الشفافة حينا ، والغامضة في اكثر الاحيان ، كما انه يمتاز في غالبيته بتسجيل الخواطر العابرة والانفعالات السريعة في عبارات قصيرة مقتضبة ، وابرز شعراء هذه الفترة – الى جانب « اونغاريتي » ، اومبرتو سابا – وقد توفي منذ اعوام – وأيوجينيو مونتالي وسلفاتوره كوازيمودو الفائز بجائزة نوبل عام ١٩٥٩ ودييفو فاليري والدوبا لاتسيسكي .. وينفرد دييفو فاليري وهو اكبر سنا من اونغاريتي ومن رفاقه الاخرين الاحياء بخلو شعره من الصبغة « الانغلاقية » الحديثة ، كما انه لم يصطبغ من قبل بصبغة المستقبلية ولا « الغسقية » اللتين عاصرهما ابّان زهوة عمره القصير وقد امتاز شعره بالاشراق والرقة وجمال الوصف وغنى الخيال .. اما اونغاريتي شيخ شعراء ايطاليا الاحياء فيمتاز بالمقدرة الفائقة على جمع المعاني العميقة في اقصر عبارة ، ويمثل النقاد الايطاليون بقصيدة له مشهورة في القصر والعمق ، لا تعدو كلمتين يقول فيها « استنيروا باللانهائي » . اما اشد الشعراء غموضا وتعقيدا فهو « ايوجينيو مونتاليه » . وهكذا فان جل هؤلاء الشعراء يعتبرون اليوم من ابرز الشعراء لا في موطنهم ايطاليا فحسب ، بل وفي اوروبا كذلك ، وقد ترجم شعرهم الى اكثر اللغات الاجنبية ...

حسبنا هذه الالمامة المقتضبة بتطور الشعر الايطالي قديمه وحديثه ، ولنعد الى الشاعر الذي خصصناه بمقالنا ونعني « سيرجيو كوراتسيني » . ولد سيرجو (٢) في روما عام ١٨٨٧ ومات مسلولا عام ١٩٠٧ . وقد احتل في حياته القصيرة ، مكانا رفيعا في الشعر الايطالي في القرن العشرين ، فكان مع « كورادو غوفوني » و « غويدو غوتسانو » و « مارينو موريتي » و « فوستو ماريا مارتيني » من أوائل الشعراء الذين افتتحوا ردة فعل ضد عظمة البلاغة ، تلك التي فرضها الشاعر الايطالي الكبير « دانونتزيو » ، ولم يحتج هؤلاء الشعراء للقيام بدورهم الفعال في تطوير الشعر الى توضيح او بيان ، كما لم يحتاجوا الى أي منهج ينتهجونه ليفرضوا أسلوبهم . واننا لنراهم وهم الذين لقبّهم اخيرا الناقد الكبير بورجيزي بـ « شعراءالغسق » ماضين يبحثون دون ونى عن الانسان العادي ، بعد الانسان الاعلى ولم

---

(١) للصديق الاديب الاستاذ عيسى الناعوري فضل تزويدي بمعلوماته عن الادب الايطالي المعاصر .

(٢) راجع : كتاب « نصف قرن من الشعر » بالفرنسية من منشورات اليونسكو .

يبرحوا يميلون الى التعبير عن انطباعاتهم وآلامهم بكلام سهل بسيط ، بل بكلام فقير ان جاز هذا التعبير ، كـلام مألوف اعتدنا تبادله فـي حياتنا اليومية .

ولقد جمع اصدقاء « كوراتسيني » غب وفاته ما نظم من شعر نشروه في ديوان صغير .. واننا لنرى هذا الفتى الشاعر بعد ان بدأ - وهو في ربيعه العشرين - يحس بوجنتيه تهزلان ، وبدمه ينضب يوما تلو يوم ، فيمضي مجربا الفرح بالحياة ، في الوقت الذي يبكي فيه الحياة ذاتها التي لم يكتب له التمتع بها ... أجل كان يجرب فرحه في ابتسامة محمومة ، يخنق فيها دموعه مستسلما ، على الرغم من ان فكرة الموت لا تني تراود ذهنه ، كما نراه يبدي - اسوة بجميع شعراء الغسق - تفضيلا للاشياء الذاوية او الاشياء البالية فيعنى « بالدور » الذي لم يبق من يغنيه او يردده ، كما يظهر ايثارا للاثاث الذي فرضته الشيخوخة ، وعناية بالغة بالستائر ذات الالوان الحائرة ، وبمفاتيح « البيان » المهترئة الكئيبة التي لم تعد تمسها أيدي النسوة قط . نشعر في هذا كله بتأثير الشعراء الفرنسيين « التدهوريين » عليه ، كما نشعر بتأثير الشاعر «رودنباخ» كذلك ...

ان من يقرأ شعر كوراتسيني يجد ان ثمة رؤى واطيافا تعبر خلال كل قصيدة من قصائده ، انها رؤى العليل في مشفاه ، وأطياف راهبات حانيات ، وسيماء مرضى ناقهين ، ورنين اجراس الدير يتجاوب نهار الاحد ، مع أنّات الارغن العتيق . كما يجد نفسا حزينة متألمة ، تختبيء في ركن منعزل من اركان الظل والالم ، تتجنب ما وسعها نور الشمس الذي يؤذيها ويرمض جوانبها ، وهذا ما يجعلنا بعيدين أشد البعد عن سورات الشاعر « غابرييل دانونتزيو » التي جاوزت كل حد ...

ومهما يكن من امر فان تأثير كوراتسيني كان عظيما في الشعراء الايطاليين اذ طبع تعبيره المتواضع بطابعه الكثير منهم حتى يومنا هذا ، أعظم مما اداه مضمون شعره ذاته من كآبة ذاوية ، بل اعظم مما أدته اللغة الذهنية المغلقة في المجالات الشعرية الاخرى ...



## سويداء

ماذا تبتغين ان تغني لي
هذا المساء ؟
لست اريد ، يا صديقتي ، ان أجهد فكري :
سيان لدي
غني لي الاغنية الاولى القديمة
التي تمر بخاطرك
او غني لي احدى هاتيك الاغاني
التي لم تعد تغنّى
منذ أمد بعيد
ولم تعد ابواب الشرفات
تفتح لها منذ خمسين عاما .

ألا تبغين أن تبعثي فيّ الحنين
لاغنية ميتة ؟
مالي أراك حزينة ؟ ان الملك يضنيني هذا المساء
لانك لا تغنين ، ولا تتكلمين ..
ماذا ألم بك ؟
هل تؤلمك كآبة الموت ؟
أم تؤذيك وحـدتنا ؟
أم انك تذكرت آخر حفلاتك الراقصة
في ثوبك الاصفر
الذي نخره الدود ؟
أو لا تدرين ان الربيع اقبل ؟
واني لم أشعر بمقدمه ؟
اذ ليس لدي أزاهير
ولم تكن لدي يوما زهرة منها في حديقتي الحزينة .
علام لا تعزفين الموسيقى ؟
أو لا ترين الى بيانك الصغير الجريح
وهو يعاني لهاث الموت لهفان في الظل ؟
هكذا روحانا يا صديقتي
تتأوهان ، اذ تترقبان من يبعث فيهما الرعشة .
آه ! يا لشجني في سناء القمر
يا لشجني مع شتيت ابوابه الموصدة
يا لشجني بعد ان بدا دربنا المقفر مسلولا يترقب الموت
وليس له من يسهر على احتضاره
غير مصباحه الخافق الوحيد .

## يأس شاعر عاطفي بائس

علام تدعينني شاعرا ؟
لست بشاعر .
لست الا طفلا يذرف العبرات .
أترين : ليس لي غير عبراتي أهبها للصمت
فعلام تدعينني شاعرا ؟

أحزاني ، أحزان فقيرة كسواها
وكانت أفراحي بسيطة
بسيطة حتى لأكاد أخجل من روايتها لك
أما الان فاني افكر في الموت .

اني أبتغي الموت ، أبتغيه ، لأني مضنى
أبتغيه لان كبار الملائكة
ممن نقشت صورهم على نوافذ المعابد
يثيرون فيّ حبا وقلقا
ابتغيه لاني ، منذ الان ، خاضع كمرآة
كمرآة بائسة كئيبة .
أترين ، أنا لست شاعرا
أنا طفل حزين يتلهف للموت .

اواه ! لا تعجبي من حزني
لا تطرحي عليّ سؤالك
فلن أجيبك الا بكلمات هباء
رباه ، هباء حتى لتدفعني الى البكاء
كما لو كنت من الموت قاب قوسين أو أدنى .
ولو ان عبراتي تساقطت
كحبات سبحة حزن
حيال نفسي الحزينة
فلن أغدو شاعرا
لن أغدو الا طفلا هادئا مفكرا
يصلي مثلما يغني وينام .

الصمت بالنسبة لي ، اله

# ليـلة أرق

*

رباه ! خفف لوعـــة القلـــق ... واغمض جفون المتعب القلق
طار المنام من العيون ولـــم ... اهدأ وطعم النوم لم اذق ..
والنجم خلت النجم في نظري ... كالجرح نز بمهجة الغسق !
والنور مثل دم يسيل دمجا ... ويعود يظهر ساعة الشفق..
والصبح أين الصبح يفرجني ... او ضل حتى الصبح في الافق؟!
والليل وهو البحـر منسدل ... وانا به دان الـى الغرق ..
فكأن عيني لا جفون لهـــا ... مبتورة الاهـداب والحـدق
اضحى الفراش يملني ضجرا ... ويعافني من كثرة القلـــق
وكأن شوكا فيـــه جرحني ... شوك بلا ورد ولا ورق ...
واعـد ساعاتـي واحسبها ... من ليلتي البيضاء ـ بالارق!
وحرمت حتى الحلم من سهري ... وخيال من اهوى فلم اطـق
ويضيق بي نفسي فيخنقني ... واكاد الفظ اخر الرمق ...
حتى النسيم حرمت نسمته ... فازددت من حمق على حمق!
هـــم وتسهيد ومتعبـــة ... هذا الذي بعد الشباب بقي!!



زحلة ــ لبنان ... رياض معلوف

واني اتناول القربان كل يوم
ورهبان الصمت هم الضوضاء
ولولاهم ما بحثت عن الاله ووجدته .

لقد نمت مضموم اليدين ، هذه الليلة
وبدوت طفلا هادئا
منسيا من الناس جميعا
فريسة بائسة لذيذة لأول قادم
وكم كانت بي رغبة في ان اباع
ان اضرب
ان اجبر على الصوم
كيما يكون في مقدوري الاسترسال وحيدا في البكاء
يائسا في ركن مظلم .

اهوى حياة الاشياء البسيطة
فلكم ابصرت من شهوات
تتهاوى رويدا رويدا
من اجل اشياء تمضي
بيد انك لم تفهميني وتبسمي لي
وتفكري باني عليل .

اواه ! انا حقا عليل
اموت كل يوم في رود ومهل
أترين : أنا كالاشياء
لست اذن شاعرا
وأنا عليم بان عليّ كي ادعى شاعرا
ان احيا حياة غير حياتي
بيد اني لا ابتغي ــ يا الهي ــ غير الموت
آمـــين ..

دمشق ... سعد صائب



**محمد رجب البيومي**

# الحجاج بن يوسف في بلاط الوليد

بقلم محمد رجب البيومي

***

كان الوليد بن عبد الملك مبتهجا في مجلسه لسعادة اصابته في امسه ويومه ، فأخذ يتفكه مع جلسائه في مرح سافر ، والبشر يكسو الوجوه فتنم عن ألق وضيء ، ثم خطر ذكر الحجاج بن يوسف فساد الصمت فجاة ، وغمرت النفوس كآبة تعجب لها الوليد ، فسأل اصحابه متضاحكا : كيف تبدلت بكم الحال عند ذكر الحجاج !! فقال والي المدينة عمر بن عبد العزيز . وكان في الحاضرين ـ يا امير المؤمنين ، لايخطر الحجاج في سرور الا افسده ، ولو شاهدت وجوه الناس وما يصبغها من العبوس اذا تداولوا سيرته خارج قصرك ، لوقفت على شر اليم ...

فأبتسم الوليد ابتسامة معبرة وقال : اعلم ان سياستيكما مختلفتان ، وكم كتب الي الحجاج يشكوك .

فنظر عمر بن عبد العزيز متعجبا وقال : ياسبحان الله ، اويشكونني الحجاج الى أمير المؤمنين ، فأجاب الخليفة في ابتسام : يقول انك افسدت عليه ملأه في العراق ، فما يشغب شاغب بالكوفة او البصرة ، الا رحل اليك هاربا منه فآويته وحميته ، وجعلت حرم رسول الله ملجأ للطرداء والمذنبين !!

فقال عمر معقبا : اصدقك الحديث يا امير المؤمنين ، اذ أعلن اليك ان اغضاب الحجاج قربة عظيمة اتزلف بها الى السماء !! فضحك الوليد ضحكة عالية وقال في تفكه : او بلغ بك امتهانه الى هذا القدر ، ان والدي رحمه الله اوصاني به خير وصية ، وقال انه جنة بني مروان !

فرد عمر متعجبا : لا حول ولا قوة الا بالله ، ايكون هذا الطاغية السفاح جنة بني مروان ، وليس في يده غير العراق ! فهل كان جنتهم ايضا في الشام والحجاز ومصر وافريقية وخراسان !!

فنظر الوليد الى جلسائه وسأل ماذا ترون ؟ فصاح صائحهم في مداهنة : القول ماقال امير المؤمنين ! فتنحنح الوليد قليلا ثم قال : ان أمير المؤمنين عبد الملك رحمه الله حين أعياه امر العراق ، جمع انصاره وخلصاءه ثم خطبهم بقوله : ايها الناس ان العراق كدر ماؤها ، وكثر غوغاؤها، واملولح عذبها ، وعظم خطبها ، فهل من ممهد لها بسيف قاطع ، وذهن جامع ، وقلب ذكي ، وانف حمي ، فسكت القوم ، ولم يتقدم غير الحجاج ، فجمع الله به الشمل ، ووحد الكلمة ، واكد وفاءه الجم لامير المؤمنين ...

فقال عمر معترضا : لو كان الحجاج ذا وفاء كما يظن امير المؤمنين لظهر ولاؤه لسيده وولي نعمته روح بن زنباع، وزير أمير المؤمنين عبد الملك رحمه الله .

فسأله الخليفة في دهشة : أوخان الحجاج روح بن زنباع وقد قدمه وزكاه !؟

فأجابه عمر : لقد اختاره روح أميرا للعسكر ، فأصبح رجل الجند المطاع ، وقائد الكتيبة المرهوب وقد مر ليلة بعسكر روح وهم يتناولون الطعام فأجبرهم على الرحيل فأمتنعوا حتى يأكلوا ما بايديهم ، فأحرق عليهم خيامهم بالنار ، وتركهم شردا أباديد !! وبلغ ذلك روحا فشكاه الى عبد الملك فما أنصفه واقر صنع الحجاج .

فرد الخليفة يقول: لولا ان الحجاج كان على حق ، ما ايده امير المؤمنين رحمه الله فانقطع الحديث بعمر ، ولم يدر كيف يجيب !! ثم اخذ الوليد يتأمل وجوه الحاضرين وسأل مداعبا : ماتقولون انتم في الحجاج ؟ احكموا بيني وبين عمر بن عبد العزيز .

فقال مستمع حصيف : ان راي امير المؤمنين ايده الله صائب سديد ، فقد سكن الله بالحجاج ماتفاقم من فتن ، وأمن به ماالضطرب من امن ، ولكنه لجوج عنيد ، يسرف في الدماء لغير حاجة ، واحرى به ان يجانب الشطط ، فلا يكون سفاحا من الباطشين .

فقال الوليد : وهل يقتل الحجاج ضحاياه دون ذنب يقترفون ، محال ان يكون ذلك من امير أريب !

فرد المتكلم في لباقة : كل الذنوب ياامير المؤمنين لاتستوجب القتل ، واراقة الدماء فمنها مايقابل بالملامة ، ومنها مايكافأ بالسجن ، ومنها مايجازى بالضرب او يلقى بالتهادن والاغضاء ! ولكن الحجاج في اكثر أموره بطاش سفاح .

فقال الوليد في اهتمام : لك ان تضرب الشواهد والامثال !

فاجاب الرجل في ثبات : لقد دخل عليه بعد معركة الجماجم رجل من بني خثعم ، جاوز الثمانين ، وكان قد اعتزل الحرب فلم ينضم الى ابن الاشعث او سواه ،واعترف

بذلك للحجاج ! وقد رأى الطاغية في وهن جسمه ، وارتعاش مفاصله ، وتخاذل اعضائه من الكبر والشيخوخة مايباعده عن أعمال الحروب والنضال .. ولكنه اصر على قتله دون ذنب جناه !

فأسرع عمر بن عبد العزيز يقول : اما وقد ذكرت دير الجماجم ، فلدي من وقائعه مايشيب الولدان !

فابتسم الوليد ، وقال لعمر : انتظر قليلا انت يا بن العم ، فالرجل شاهد يدلي بشهادته وانت مدع تطالب بالقصاص !! فابتسم القوم في فرح ثم استأنف الرجل يقول :

لقد تقدم اليه غلام صغير لم يبلغ الثالثة عشرة من عمره ، وبكى في لهفة وخوف ، وجعل يقول :

انا غلام صغير ، سرت مع امي وابي ولا اعلم اين يقصدان وظهر من ضعفه وسنه ما يفطن ببراءته ، ولكنه كان من ضحاياه .. فسأل الوليد في تطلع لو قتل الحجاج جميع اسراه يوم الجماجم ولم يعف عن احد ؟ فاجاب الرجل في حزم : قتل الكثير وعفا عن النزر اليسير ، وقد شاهدت بنفسي نادرة طريفة اقولها لو اذن مولاي !

فقال الوليد مبتسما : هات نادرتك لعلها تروح عنا بعض الشيء !

فرد عمر متضاحكا : او في حديث الحجاج ترويح يا امير المؤمنين ...

فقهقه المجلس في ادب يفرضه وجود امير المؤمنين .. ونظر الوليد الى الرجل وقال عجل بالنادرة لتدهش عمر بن عبد العزيز .

فقال الرجل وعينه لاتتحول عن الوليد : كان الحجاج قد اشترط على متهم ان يقر على نفسه بالكفر ، فاذا اعترف بذلك نظر في اطلاقه او عقابه ، وقد تقدم اليه رجل ماكر يود الحجاج ان يعجل بحتفه ! فقال يغريه بالانكار : اني ارى رجلا ماالظنه يشهد على نفسه بالكفر والمروق .

فابتسم المتهم في دهاء وقال : اوخادعي انت عن نفسي ايها الامير ، أنا اكفر أهل الارض واكفر من فرعون ذي الاوتاد !

فضحك الحجاج حتى بدت نواجذه ، واضطر الى اطلاق الداهية المرواغ !

فابتسم الوليد وتندر القوم واخذوا في شجون من الحديث !! على ان عمر بن عبد العزيز ظل صامتا لا ينبس!! وقد اطرق برأسه الى الارض كمن يكابد ازمة داخلية تأخذ عليه شعاب التفكير ، فاتجه اليه الوليد في حدب بالغ وسأل : ماذا ترى أيها الصديق ؟

فانتبه عمر لسؤال الخليفة ، وادركته البديهة المتيقظة فقال : ان راي امير المؤمنين ، ان يكتب الى كل وال من عماله الا يبادر بقتل انسان ما ، ممن يشغبون عليه حتى يستاذن امير المؤمنين بدمشق ، ذاكرا مايدعو الى سفك الدماء ، كان في ذلك عصمة للارواح ، وصيانة للمسلمين.

فائتلق وجه الوليد ، ومد يده الى عمر مصافحا في بشاشة ، وقال لجلسائه : راي سديد والله ، وسأعجل بتنفيذه من الان واني لمستفتح بالحجاج دون انتظار .

ففرح الحاضرون فرحا أضاءت به الوجوه ، ولمعت الاسرة ، واخذوا يمدحون الوليد ويحبذون سيرته الهادية، وعاد المجلس الى مثل مابدىء به من المسرة والانتعاش حتى اذا قضوا حظا مما يسمرون ، تفرقوا مستأذنين .

***

كان الحجاج جالسا في ملأ من اصحابه بالعراق ، فأتاه خطاب أمير المؤمنين يأمره ان يستأذن في كل دم يراق، فصبغت وجهه مسحة كئيبة من الاسف والغيظ ، واخذ يفكر في الامر متأملا ماعسى ان يكون قد اوحى به مما خالط نفس الوليد ، وجعل يقلب الراي على شتى وجوهه محللا معللا .. ثم هداه دهاؤه الى حيلة بارعة يقنع بها الوليد ، فتكون آية ناطقة على عدالة تصرفه وسلامة مأتاه.

لقد بعث الى خارجي متشدد ممن يعهد فيهم غلظة القول ، وفظاظة الطبع ، وتهور النقاش ، فقربه من مجلسه، واخذ يطري ـ لمأرب في نفسه ـ صراحة الخارجي، ونظافة اعتقاده ، على غير مايتوقع الرجل ، ثم سأله في تخابث : ماتقول في معاوية !؟ فقال الخارجي في صراحة جريئة : لئيم ماكر غدور ، استحل الخلافة من غير طريقها ،واستباح من المحارم ما امر الله ان يصان ، فعليه لعنة الديان الى يوم الدين ، فلم يظهر الحجاج اكتراثا لما سمع ، وتابع سؤاله يقول : وما تقول في عبد الملك بن مروان ؟

فقال الخارجي : شريك معاوية في الغدر والفجور ،ان لم يكن زاد عليه بما جلب من الشرور وروع الامنين، فعليه لعنة الديان الى يوم الدين .. فتباله الحجاج ، وابتسم يقول في استخفاف : وما رايك في الخليفة الوليد ؟ فصاح الخارجي لئيم بن لئيم ، وغادر بن غادر ، وسفاح بن سفاح! فعليه لعنة الله الى يوم الدين !

فأطرق الحجاج برهة كمن يدبر في نفسه امرا ثم قال : انك لصريح جريء وقد وثقت برجولتك العالية ، واعتقادك الغيور ، افرأيت ان ارسلتك الى دمشق ثم قابلت الخليفة في قصره أتجابهه بهذا الحديث ..

فشمخ الخارجي بانفه وقال : ومن يكون الوليد ؟ انني لا اخشى غير الله رب العالمين، فابتسم الحجاج وقال في تؤدة : سترحل اليه عن قريب . ثم خلا الى نفسه واحضر ورقة يكتب فيها الى أمير المؤمنين :

« اما بعد .. فقد وصلني خطابك تأمرني ان استأذنك في كل دم يراق ، وهذا خارجي لئيم ثائر ، جلب الشرور، وأثار الموبقات ، وله انصار واتباع ، فان رايت ان تسأله عن اعتقاده في معاوية ، وعبد الملك وفي شخصك الكريم فسترى مايوجب القتل السريع ، ولقد كدت والله ان اسقي الارض بدمه لولا ماحرصت عليه من طاعتك ووجوب استئذانك في اهداره والسلام عليك ورحمة الله » !!

ثم سار الركب من العراق يضم الخارجي وحراسه ورسالة الحجاج الى الخليفة ،فما ان اتى قصر الخلافة حتى

مثل بين يدي الوليد ، وقرا الرسالة متعجلا ، ثم سأل الخارجي عن رأيه في الخلفاء الثلاثة فسمع ماسمع الحجاج، ورأى من تشامخ المسؤول وغطرسته مااستشاط به غضبه ، فأمر جلاده فأزال راسه عن جسده ، ثم كتب الى الحجاج يقول : «انت في بؤرة فاسدة مفسدة ، فأحمل سيفك ، ولا تراجعني في احد والسلام » ثم قام مغضبا ، فاتجه الى زوجته ام البنين شقيقة عمر بن عبد العزيز ، فحدثها بما كان من اقتراح اخيها وتصرف الحجاج ،واخذ يؤيد الطاغية في ارهابه وبطشه ، وينحى باللائمة على عمر بن عبد العزيز ، ولم يدر ان ام البنين ستغضب لشقيقها العادل الرحيم ،فهجنت ارهاب الحجاج وسفهته ، وفاجأت زوجها بقوارص اللوم ، وقوارع التأنيب ، — وكان معها حليما عطوفا — فارسل يستدعي اخاها من منزله على عجل ، ليرأب الصدع ، ويعيد الصفاء من جديد ..

فسرعان ماحضر عمر ، فألم بما كان من امر الخارجي،ثم ما جد من خلاف الزوجين ، ورأى من تشعب الخلاف ، وتطاول الجدل ، ماحمله على الملاينة والتلطف ، فسأله الوليد في ضيق — وقد نظر الى زوجته في غضب كظيم : ماكنت تصنع ياعمر بالخارجي اذا استمعت الى مااستمعت اليه من رده القبيح ؟

فقال عمر في تصميم : لم اكن لاستبيح قتله ياامير المؤمنين !

فرد الوليد في تهكم ثائر : افكنت تميل الى الصفح ، فيتجرأ الناس وتعيد مأساة عثمان رضي الله عنه من جديد !!

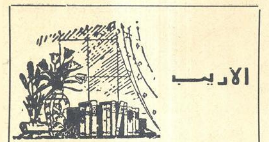
فرد عمر في لباقة : كلا ياامير المؤمنين ، ولكني كنت اراجعه واناقشه حتى يتوب ، فاذا لم يرجع سجنته في محبسي ليفكر من جديد !!

فاحمر وجه الوليد ، وصاح في غيظ : ذلك ما لا اطيق.

ثم طرق الباب طارق .. فنهضت ام البنين الى خلوتها الخاصة ، وكانت تجلس دائما الى ستر قريب من مجلس الوليد فتسمع مايدور به ، دون ان يعلم احد عنها شيئا غير امير المؤمنين ... واذ ذاك دخل سليمان بن عبد الملك شقيق امير المؤمنين ، وابن عم عمر بن عبد العزيز، فادرك الخليفة ان اخاه ماقدم عليه في مثل هذه الساعة الا لامر شديد .. فصرف مابنفسه من الغضب ،وانبسطت اساريره ، فحيا الوافد القريب تحية كريمة ، ثم سأله في لطف مهذب : الك من مطلب ياسليمان ؟ فتلعثم سليمان قليلا ثم قال في اضطراب لاتستبين به الكلمات دون عسر شديد : ان الحجاج جزاه الله قد ارهق يزيد بن المهلب بما لايستطيع ، واني استشفع اليك في يزيد ، فقد نزل داري ، ورآني اهلا الشفاعة فيه ، واذا كان الحجاج يطالبه بكثير المال او قليله ، فعلي ان ادفع مايريد ...!

فعبس وجه الخليفة فجأة وقال في ثورة : لقد كتب الي الحجاج يكبر ذلة يزيد ، ويدعو الى حتفه ، وما انا بمستطيع ان افسد عليه خطته في الزجر والتأديب !


# الاديب



لا يقبل الاشتراك الا عن سنة كاملة بدؤها شهر
يناير ، كانون الثاني
تدفع قيمة الاشتراك مقدما وهي :

**الاشتراك العادي :**

في لبنان وسورية : ١٢ ليرة لبنانية
للمؤسسات والشركات والدوائر الرسمية : ٢٥ ل.ل.

*

في الخارج : ٢٥ ل.ل. او ما يعادلها بالبريد العادي
٥٠ ل.ل. او ما يعادلها بالبريد الجوي
في الولايات المتحدة : ١٠ دولارات بالبريد العادي
٢٠ دولارا بالبريد الجوي

**اشتراك الانصار :**

في لبنان وسورية ٢٥ ل.ل. كحد ادنى
في الخارج : ٥٠ ل.ل. او ٢٠ دولارا كحد ادنى

*

المقالات التي ترسل الى الاديب ، لا ترد
الى اصحابها سواء نشرت ام لم تنشر

للاعلان تراجع ادارة المجلة

*

تليفون : الادارة ٢٢٣٨١٩ — المنزل ٢٢٥١٣٩
Tél. : Direc. : 223819 — Dle. : 225139

*

**صاحب المجلة ورئيس تحريرها ومديرها المسؤول**
**البير اديب**

توجه جميع المراسلات الى العنوان التالي :
**مجلة الاديب — صندوق البريد رقم ٨٧٨**
بيروت — لبنان

# قصة بلبل عاشق

●

حكاية الحب .. على طولها — لا يعتريها .. يا رفاقي .. الملال
وقصة الليلة .. يا اخوتي — جميلة .. فوق حدود الجمال
فلتسمعوها مرة واذكروا — هذا الذي يوما حكاها وقال
ولتجعلوها رفقتي .. متعة — يزجى بها هم الليالي الطوال

يروون فيما الناس يروونه — من واقع العيش وصنع الخيال
حكاية عن بلبل صادح — مهذب الطبع .. رقيق الخلال
قد كان يحيا في حمى دوحة — تسبح في السحر ورفق الظلال
كأنما قد صاغها مبدع — من مبدعى الفن .. رعاة الجمال
وكان ذا الصداح في غفلة — لا يعرف الحب ونار الدلال
ولا الذي يصلى به عاشق — من حيرة الفكر وسهد الليال
يحيا خلي البال انغامه — تعطر الروض بسحر حلال
فأينما سرت تجد لحنه — يسرى حنونا كالمنى كالوصال

ومرة طاف غلام به — مبعثر الخطو .. رهين الهزال
يحمل في يده .. نايه — وملء عينيه الاسى في سؤال
وارسل اللحن رقيق الصدى — رنينه العذب يهز الجبال
فمس قلبا خاليا مثلما — تمس قلب النبت ريح الشمال
لبلبل لم يدر طعم الهوى — وكأسه العذب البعيد المنال
وراح لا يدرك ما احدثت — انغامه او قدرت من مآل
مخلفا في اثره بلبلا — تفتحت اكمامه في اكتمال
تيقظت اعماقه فجأة — تطلعا للحب اشهى زلال

واقبل الصداح من فوره — يعبر ابواب المنى والمحال
يبحث عنها .. عن سنا عمره — فاتنة القلب .. وحلم الوصال
حتى التقى بالحب .. في زهرة — تهتز من حسن لها .. في اختيال
فاشرقت اعماقه فرحة — وبعد طول السعي حط الرحال
غناؤه اضحى لحون الهوى — وشدوه الاشواق في كل حال
من فجره حتى قدوم المسا — يشدو هنيئا بالاغاني الطوال
لها الغناء العذب يا حظها — من زهرة اضحت مثار الخيال
وتلمح الاشواق حوليهما — نبعا تهادى بالاماني وسال

لكنما الحساد .. يا ويلهم — قد هددوا آماله بالزوال
فبعثروا الاشواق في دربه — واشهروا احقادهم كالنصال
والبلبل الصداح في غفلة — من نشوة الحب وخمر الوصال
وفجأة يصحو على طرقة — كف الردى قد هيئت للنزال
كأنما وحسن المصير انبرى — يبرز انيابه .. للقتال
فقام يحمى الحب في لهفة — يحميه من قسوة هذا المآل
حتى انثنى والنصر في اثره — واللحن يزهو بالمنى والمنال
والزهرة العذراء نشوانة — ترنو اليه في رضى وانفعال

مصر الجديدة — عبد المنعم عواد يوسف



ابراهيم ناجي

# المجهول المعلوم من شعر ناجي

بقلم وديع فلسطين

ان ما نشرته في الفصول الفارطة من شعر ناجي المجهول هو ، مع استثناء قلة قليلة منه ، معلوم معروف ، سبق نشره في الكتب وفي المجلات ، ولكن أعين جامعي تراثه اغفلته وتجافت عنه فانبعثت لتسجيله ، وتفتحت أمامي مغاليق المراجع ، ولم ألبث حتى وجدتني أسوق فصلا في اثر فصل عن هذا الشعر الضائع المضيع وفاء لهذا الصديق الشاعر العظيم الذي اغتالته مكايد أهل السوء فمات شهيد ابائه وكبرياء نفسه وعبقرية روحه وشموخ خلقه .

ولئن ملكت ناحية هذا الحديث يوم استهللته ، فلست املك خاتمته ، ولا أراني قادرا في يوم من الايام على ان اضع نقطة النهاية لهذا الحديث العذب المسترسل . فشعر ابرهيم ناجي كثير كثير ، وأنى لمثلي ان يجمع فرائده ولو عسكر في خزائن دار الكتب منقبا عنه غائصا على روائعه متسللا في قنص شوارده .

ولقد تفضل بعض كرام الصحب فنبهني الى مواضع قريبة التناول فيها مآثر شعرية لابرهيم ناجي ، ولم يعنيني ان اهتدي اليها وأن أتبين ان « ديوان ناجي » الذي صدر في سلسلة « تراثنا » بعناية الاصدقاء الفضلاء احمد رامي وصالح جودت والدكتور أحمد عبد المقصود هيكل والمرحوم محمد ناجي انما هو تراث ناقص يعوزه تتميم ولا يمثل الصورة الكاملة لشاعرية ناجي الباذخة السخية المعطاء .

فردني الصديق الشاعر محمد مصطفى الماحي الى « ديوان الماحي » (١) حيث روى مساجلة شعرية كان ناجي من اطرافها وكان الماحي طرفا ثانيا فيها وكان الشاعر المرحوم علي شوقي طرفها الاول والاصيل . فقد دخل الماحي على وكيل وزارة الاوقاف الاسبق والفى بين يديه قصيدة استعطاف وجهها اليه الشاعر علي شوقي ، جاء فيها :

رجوت أخا الفضل الكريم نجاره ... وما كنت أخشى أن يجيب رجائيا
بعثت اليه دعوة اثر دعوة ... وعهدي به شهما يجيب المناديا
وعززت أولى الدعوتين بأختها ... مخافة ان يمسي ويصبح ناسيا
ومرت ليال لا تعد وأشهر ... وعقدة آمالي لديه كما هيا
فيا ليته من أول الامر ردني ... الى اليأس موفورا علي حيائيا
اذن لرآني راضيا غير عاتب ... عليه ، ولا شاك له سوء حاليا

وبينما كان كلاهما مشغولا بقراءة هذه القصيدة ، دخل الغرفة شاعرنا الدكتور ناجي ـ وكان مديرا للادارة الطبية بوزارة الاوقاف ـ وكان بدوره صاحب شكاية . فلما عرف امر قصيدة الشاكي ، تناول القلم وارتجل ابياتا من عين الوزن والقافية ، قال :

طربت « لشوقي » واستجدت بيانه ... فملك يوما تستجيد بيانيا
رأيتك بالاداب والشعر تحتفي ... فما لك تنساني وما كنت ناسيا
الست الذي صفقت يوما لشعره ... وهللت اذ اكبرت تلك القوافيا
من المعدن الصافي تسلسل شهده ... دليلا على حبي ومحض وفائيا
اذا كان لي بالشعر مجد ودولة ... لديك فما لي لا أبثك ما بيا
وواسفا أن يذهب المجد ضائعا ... وتبقى أموري عاثرات كما هيا

وكان طبيعيا ، ان يشارك الماحي في هذه المساجلة فقال بدوره :

أرى الشعراء اليوم تسعى وفودهم ... الى روضة طابت جنى ومغانيا
رأوا دولة الاداب عزت وأينعت ... فراحوا يناجون المنى والمعاليا
ومن مثل «شوقي» أو «كناجي» بلاغة ... ومن « كعماد » رقة ومعانيا (٢)
هم بلغوا في الشعر أبعد غاية ... أضاءوا بها ما كان في الناس داجيا
هم في بناء الفضل أركان أمة ... أقاموا لها صرحا من المجد عاليا
على أنهم عاشوا وعاش ذووهم ... يقاسون ما يعيي الجبال الرواسيا
ومن عجب أن يستنار بهديهم ... وهم في ظلام اليأس خاضوا الدواهيا
عزيز على العلياء طول شكاتهم ... وترديد أنات هي الجرح داميا
وقد بلغوا بابا هو الخير كله ... فليتهم يلقون فيه الامانيا
وليس عجيبا أن تقر عيونهم ... بعهد رأوه للمتاعب ماحيا

وردني صديقي محمد عبد المنعم خفاجي الى كتابه « دراسات في الادب والنقد » حيث ذكر على صفحة ١١٠ ان الدكتور ابرهيم ناجي ارسل الى الشاعر محمد مصطفى الماحي رسولا ومعه بطاقة يقول فيها :

للصاحب الشهم الكريم السماح ... هذي الشفاعة للصديق الماحي
بعض النقود وقد تركت لصاحبي ... تقديرها بذكائه اللماح
هذا قريبي فاقض حق قرابتي ... والرمز يغنيني عن الافصاح

فأجابه الماحي بقوله :

أهلا بتوصية الاخ السماح ... وبشعره المستعذب الفواح
هل يستحق العون الا سيد ... جار الزمان عليه بعد كفاح
ان كان لي أجر على ما سقته ... فلك الثواب مضاعف الارباح
لك يا أخي اضعاف ما أملته ... ولك الوفاء من الصديق الماحي

---

(١) ص ١٦٦ ـ ١٦٧ بعنوان « شكوي الشعر »

(٢) يقصد الشاعر محمود عماروكان موظفا في وزارة الاوقاف .

## ان لم نلتق

●

أقبلي قبل احتـــراق الشفـــق
نفحـــة بـــين طـــوايا العبـــق
حـــاذري أن تخلفـــي موعدنـــا
فانـــا أركـــض كيمـــا نلتقـي !
واذا أقبـلت فـــي رأد الضحـــى
قبســـا ينســـاب عبـــر الافق ..
فامسحي جفني بالنـــور ، فقـــد
سكن السهـد هنـــا ... في حـدقي
وابعثي الـــروح ، ففيهـا سكـــرة
من بقايـــا عطرك المنـــدفق ...
وفـــؤادي ســـادر فـــي غيـــه
يقتـــل النبضـــة ان لـــم يعشـــق
أقبلـي أغنيـــة مـــن بلبـــل
لحنـــه جـــرح بقـــلب الشفق
نجمـــة تسكـــب في جفنـــي الرؤى
وتواســـي الجـــرح في قلبي الشقي
يعبـــق النـــوار ان يـزهو الهـــوى
ويفيض العطر ان لـــم نـــلتق !

الكويت — راضي صدوق

« رسائل حبها » التي أحرقها ناجي ليزيح عن صـــدره كابوسا حط عليه بكلكله في ليلة ليلاء عصيبة الظلام فاحمة

ونبهني الصديق الخفاجي الى قصيدة معلومة مجهولة لناجي نشرها في مجلة « الثقافة » الصادرة بتاريـــخ ١٢ سبتمبر ( أيلول ) ١٩٣٩ بعنوان « الشـــاطيء الخـــالي » وأهداها الى صديقه الراحل الشاعر خليل شيبـــوب ، وهذا نصها الكامل :

يا ليالي غرامها يا ليـــالي .. جنبيني ذكـــراك اني سالي
وهبيني التفت خلفي الـــى عهـدك انـــي لطامع في محـــال
لا أمامي غد ولا عـــن يميني أمل ضاحـــك ولا عـــن شمـــالي
يا هواها بالله بعد انحـــدار الشمس ، مـــاذا تعلقي بالظـــلال
قطع النسر شوطه بين همين : ترضيك وانتهـــاب المعـــالي
شهد الله ما أسف جناحـــاه ولا حلقـــا على أوحـــال
وهبي المجد داره القمم الشمـــاء فالمجـــد موحش في الاعـــالي
خطرت تحتها بأعراسهـــا الدنيا ومـــرت مواكبـــا لا تبـــالي
ما مقامي بها شقيـــا غريبـــا بعدت شقتي وطـــال اغتـــرابي
يا هباء الهبـــاء يا زبد البحـــر وذرات مستطـــار الرمـــال
ان بعض الهدوء ضرب من الرعب وبعض الثـــواء كالترحـــال
أين مرساي والسفينة ظلت .. في صراع وشاطيء قبل خالي

وما دمنا بصدد اثبات ما نعرفه من شعر ناجي المعلوم المجهول الضائع المضيع الذي خلا منه ديوانه التاعـــس الحظ ، فلا بأس من ان نورد هنا قصيدة سبق لصديقنـــا رضوان ابرهيم أن أدرجها في مجلة « الاديب » بتـــاريخ نوفمبر ١٩٥٤ ( ص ٢٧ ) وعنوانها « انعام » وكان قد ظفر بها من صديقنا الدكتور أحمد موسى ، وهذا نصها :

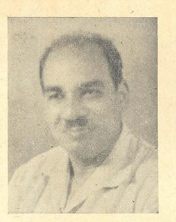
ايه انعام ، والمحاسن كثر          ما لمن لم يقم بوصفـك عذر
خلق الله ذلك الحسن لكن          للذي يخـلق المفـاتن سـر
سره ان كل حسن له الشعر تبيع ، فالمجـــد حســـن وشعـــر
وأنا الشاعر الذي قد تصبـاه أريد من المبـــاهج نضـــر
أينما وجه المشاهد عينيـــه فسحر يتـلوه سحر فسحـــر
فمن الخد للجبين الى العينين للثغـــر من معانيـــك سفـــر
ما على الحسن أن تمر حياة في تجليـــه أو يضيـــع عمـــر
رب حسن من الوداعة يبدو فيه عطـــف وفي حناياه بـــر
ولقد تحسب الوداعـــة ضعفـــا ولها دولـــة ونهـــي وأمـــر
فمرينا انعام من غير أمر نحـــن أسراك ، ما بأسرك حـــر
ومري الدهر يصبح الدهر عبدا واضحكي في فـم المنى يفتر
ومري الروض يصبح الروض فينان ، وينمو ورد ويورق زهر
ومري الطير يسجع الطير جذلان ، ويشدو غصن ويطرب وكـر
ومري القلب يخفق القلب فرحـان ، وتحنو روح ويطرب صدر
ومري الجمر يصبح الجمر كالماء وتعنو نـــار ويخضـــع جمـــر
ومري البحر يهدأ البحر أمواجا ويعنو موج ويهجـــع بحـــر
ايه انعام ، هذه صولة الحسن التي تحـطم القوي وتـــذرو



وبعد ، لقد كان ناجي شاعرا كالبحر طولا وعرضـــا وعمقا وهديرا ولآليء مغمورات . وكلما حسبنا أننا ألممنا بهذا البحر تلفتنا فاذا القدمان على أول الشاطيء واذا الماء لا يجاوز الركبتين. فقد ولد ناجي شاعرا وعاش شاعـــرا وكان كلامه كله ، جده وهزله وحديثه المرسل والمكتـــوب شعرا رائعا صافيا عليه سمات الخلود فيه بذور العبقرية الفارعة الفارهة الباذخة الشامخة . وهو قد عاش كطيـــر جريح ، انكسر فؤاده في تجربة بعد تجربة ، وانطفأ امـــاله في رواية بعد رواية ، وخاب رجاؤه في دنيا من العاطفـــة بعد دنيا ، وذابت حياته في النواح والبكاء . حتى اذا نهضت لتكريمه الدولة بعد وفاته ، جاء ديوانه المجموع أبتر كثير النقائص معيب التحقيق . فلا شعره أمكن حصره ، ولا حيل بين ناجي وبين أن يدس عليه شعر غيره ، فاختلـــط شعره بشعر غيره ، وتغيرت علينا ملامح ناجي من خلال هذا الخليط العجيب .

ولا ادري على وجه التحقيق ، هل بلغت خاتمة هذا الحديث ، أو ان في وطاب الادب بقية ترفد شعر نـــاجي . والايام وحدها كفيلة بتبيان الجواب .

القاهرة — وديع فلسطين



انور الجندي

# معاوية نور

بقلم انور الجندي

***

في محاولة لدراسة اعلام الادب العربي المعاصر المغمورين لفت نظري « معاوية نور » الاديب السوداني الذي ملأ الصحف المصرية بكتاباته سنوات ١٩٢٩ و ١٩٣٠ و ١٩٣١ و ١٩٣٢ ، في جريدة السياسة الاسبوعية والبلاغ الاسبوعي والهلال ، هذه الكتابات التي لم تلبث ان انقطعت فترة طويلة ، ثم عادت في دراسة مطولة للقصة المصرية نشرتها الرسالة ، ثم توقفت مرة اخرى حتى اوائل عام ١٩٤٢ حيث نعاه الناعي .

ولقد حاولت في خلال عشر سنوات تقريبا ان احصل على مزيد من المعلومات عن حياة هذا الكاتب العربي الذي تدل آثاره على الذكاء والحيوية ونفاذ البصيرة على نحو يتوقع معه التبريز والشهرة وبلوغ المكانة في ميدان الفكر العربي الحديث ، غير ان هذه المحاولات لم تحقق شيئا ، فكل اخواننا الذين اتصلنا بهم من السودان الشقيق كانوا يحيلوننا على الاستاذ العقاد الذي اتصل به الكاتب فترة اقامته في مصر في هذه السنوات التي نشر فيها ابحاثه .

ومع ان الكاتب سافر بعد ذلك الى السودان . ثم انقطع فترة عن الكتابة ، حتى عاد يناقش كتاب القصة في بحثه بالرسالة ، ثم صمت مرة اخرى .

ولعل آخر ما وصلني من انبائه هو ما ذكره الاستاذ عز الدين الامين رئيس جماعة الادب المتجدد في الخرطوم في رسالة شخصية لي وهو ان المرحوم معاوية محمد نور كان يكتب في السياسة الاسبوعية ( ١٩٢٧ — ١٩٣٣ ) وكان يكتب في المقتطف والبلاغ الاسبوعي ( ١٩٢٦ — ١٩٣٣ ) . وفي الفترة بين ١٩٣٤ و ١٩٣٧ كان يكتب في جريدة الجهاد وعمل محررا في الاجبشيان غازيت ( الانكليزية ) . وله صلة وثيقة بالعقاد اذ كان صديقا له ، ولذلك فالعقاد خير من يتحدث عن معاوية ، ولمعاوية سلسلة مقالات كتبها في الرسالة بعنوان « اصدقائي الشعراء » وكان ذلك في أوائل الثلاثينيات وقد نقد فيها ابراهيم ناجي وعلي محمود طه المهندس .

واني لاذكر ان المرحوم محمد امين حسونة كان قد نعاه في الرسالة ( ١٢ — ١ — ١٩٤٢ ) وقال انه كتب في السياسة الاسبوعية منذ عام ١٩٢٩ ، واشترك في تأسيس جماعة الادب القومي برئاسة الدكتور هيكل . وكان قد تخرج حديثا من كلية غردون بالخرطوم واراد أن يتم تعليمه في كلية الاداب ( المصرية ) غير انه صادف عقبات منعته من الالتحاق بالجامعة ، فارسله الامير عمر طوسون في بعثة خاصة على نفقته الى الجامعة الاميركية في بيروت . وبعد ان نال اجازتها في الاداب عاد الى القاهرة واتصل بالاوساط الادبية وزاول مهنة الصحافة في صحف شتى كالاهرام والهلال والاجبشيان ميل ثم عين سكرتيرا للغرفة التجارية بالخرطوم ، ثم وقعت فاجعة اليمة له وانتهت باختلال قواه العقلية ومات وهو في زهرة شبابه » .

*

ولعل هذه الصورة الغامضة والحياة القصيرة التي انهاها معاوية نور على هذا النحو هي التي لفتت نظري الى الكاتب في عديد من ابحاثه وكتاباته في المجلات المصرية . وهي مقالات بدأها في ربيع عام ١٩٢٩ من بيروت . وكانت تصور جودة اسلوبه وقدرته على البحث والاستيعاب ونفاذ قلمه وعمق مرماه في النقد ، فهو ناقد كامل الادوات على الرغم من انه كان في بداية الشوط مما يدل على عبقرية كامنة لم تلبث ان انفجرت بعد عشر سنوات .

يقول : « ليس الادب هو الشعر فحسب ، وما اظن كائنا من كان يقول بذلك . وانما الشعر فرع من فروع الادب ، فهنالك الرواية وهنالك الدرامة والقصص القصيرة . وهنالك البحوث الفكرية والادبية ذات الصبغة الاجتماعية والفلسفة التقدمية .

ويحزنني ان اقول ان زعماء نهضتنا الى الان لم يحاولوا الرواية ولم ينتجوا فيها شيئا يذكر .

ويتلخص عمل كتابنا الناثرين في عدة مقالات نقدية وصفية تنشر بالصحف السيارة ثم تجمع في كتاب وتقدم للجمهور .

واعجب من هذا انك اذا اردت ان تعرف شيئا عن فلسفتهم الادبية او الفكرة الانسانية — كما هو الحال عند كبار الكتاب . ومن ليس له فكرة اساسية يصدر

عنها في كل ما يكتب قمين به الا يعد من زعماء النهضة.

.. نحن نطلب منهم مقاييس ادبية مبتكرة ونظرة خاصة للحياة والاداب ، والان انظر معي الى مؤلفات الاستاذ سلامة موسى والدكتور هيكل والدكتور طه حسين واضرابهم ، فهل ترى في جميع كتاباتهم شيئا مثل هذه الفكرة الاساسية .

فأوقات الفراغ للاستاذ هيكل ما هو الا مجموعة مقالات وليس فيه اي فكرة اساسية ، ما الذي عمله الدكتور طه حسين الى الان . أعترف بانه حينما يحلل القصص الفرنسية وينقدها يلذ القارىء كثيرا او يدل على قوة نقدية رائعة ، ولكن هل هذا هو كل ما نطلبه من زعيم نهضة . وقد يقول قائل ان الدكتور طه مؤرخ آداب وناقد وليس بأديب ، فمالك تطلب منه ذلك فأقول: اين هي مقاييسه المبتكرة في نقد الاداب وكتابة تاريخها. فاننا نعلم ان كبار مؤرخي الادب لهم فلسفة خاصة بهم امثال تين وسانت بيف وهالام ، فأين الدكتور طه من هؤلاء واين هي تآليفه ، حديث الاربعاء وما هو الا حديث عن الشعراء ليس فيه فكرة اساسية ، الشعر الجاهلي نعم فيه فكرة اساسية ولكنها منقولة من المستشرقين امثال نولدكه الالماني ونيكسون الانكليزي ، فلسفة ابن خلدون هو الاخر ليس فيه فكرة اساسية وانما هو تحليل فقط وتطبيق لنظرية تين في دراسة الرجال فهل مثل هذا الاحتكار لآراء علماء الغرب يجدر بزعماء النهضة . وكتاب سلامة موسى « حرية الفكر وابطالها في التاريخ » الذي كتب عنه بعض النقاد فأسماه كتاب السنة وما الى ذلك من مثل هذا الهراء المحض ، مأخوذ من كتاب تحرير الانسانية للاستاذ فان لون ، وتاريخ الحركة الفكرية لمؤلفه ج. ب. يري . فأي فضل له سوى فضل الترجمة والنشر .

لا ، نحن نود ادبا بكرا ونود ان يميز الناس بين التفكير البكر وبين تعميم الآراء .. » .

هذه هي مطالع الحياة الادبية لمعاوية نور ، ثم هو يواصل عمله هذا فيما بعد فينقد احمد زكي ابو شادي ( في السياسة الاسبوعية ) ٢٨ يونيو ١٩٣٠ في ديوانه الشفق الباكي نقدا مرا .. ويقول :

« انت تقرا الديوان من الجلدة الى الجلدة ، وقل ان تصادف في هذا المقدار الضخم شعرا صحيحا .. فانت ترى ان ابو شادي بريء من الشعر ، ولا يمكننا ان نعرض له في شيء من الجد الا حينما يكون للشاعر شعر وموضوعات شعرية .. »

وهو معنى يعرض فنون الادب الغربي الحديث وله في ذلك عدد من الابحاث :

١ – فلسفة الدراما : بحث في الادب المسرحي ( السياسة الاسبوعية – ٢ اغسطس ١٩٣٠ ) .

٢ – بحث في أصول الفن القصصي ( الهلال اغسطس ١٩٣١ ) .

٣ – فن التراجم الجديد ( الهلال ابريل ١٩٣١ ) .

ومعنى هذا في كتاباته المتعددة انه معنى بنقد الشعر والقصة والنثر جميعا ، وانه حفي بمختلف الدراسات الغربية التي ظهرت في هذا المجال . ولما كان فن القصة في هذه الفترة من الثلاثينات جديدا فقد حاول معاوية ان يشترك مع بناة اساسه بما عرض من دراسات ونقدات يقول في مقاله من القصة :

« قصارى هذه الكتابات التي تسمى قصصا ان تكون واحدة من اثنين :

اما انها حواديث عادية لا تمتاز بشيء من الحكايات التي سمعناها في ايام الطفولة ، او انها بالمقالات الانشائية اشبه .

والسبب في ذلك ان الذين يتصدون لكتابة القصة ، اما انهم لم يتوفروا على الدراسة الواسعة والثقافة العالمية في هذا الفن ، واما ان يتصيد للكتابة القصصية ليس عنده هذه السليقة الفنية الخصبة والطبع الفني السليم » .

ثم يحاول ان يرسم لنقصة منهجا وعنده ان القالب في الفن : هو ان يختار الكاتب الشكل الذي يناسب الاثر الفني الذي يود احداثه في اذهان قارئيه . فحركة الاسلوب مثلا يجب ان تتمشى مع حركة العاطفة او الحادثة الشخصية فنجد الكاتب القصصي يستعير عدة الموسيقى في هذا الصدد من حيث الايقاع والاتساق والتدريج والموازنة .

ويرى ان الفن في موضوعه قطعة من الحياة يعرضها امامنا الاديب من خلال مزاجه الخاص ويسألنا بما اوتيه من لوذعية وتفنن ان نرى هاته القطعة كما يراها هو ، وعلى قدر عمقه في الاحساس وتفننه في العرض يقوم فنه وتنجلى عبقريته .

ويرى معاوية نور : ان هناك طريقتين لرسم الشخصية القصصية واحيائها اولها : الطريقة المباشرة التي تحدثك عن كل ما تود معرفته عن الشخصية عن طريق الوصف المباشر .

والطريقة الاخرى هي ان يعرض عليك القصاص شخوصه في تفكيرهم واعمالهم فتعرف انت الشخصية عن طرق تفكيرها ونهج اعمالها وبدرات روحها . وعنده ان الطريقة الاولى اقل فنا واسهل كتابة وارخص في ميدان النقد والتقدير من الطريقة الثانية التي تحتاج الى قوة مبتكرة وابداع يدل على الفطنة والذكاء .

❋

ثم يعرض لفن التراجم في استيعاب ودقة فيقول :

« بديهي ان التراجم لم تكن يوما مجهولة فقد عرفها القدماء واعتنوا بها وكتبوا فيها الشيء الكثير ، غير ان نظرتهم الى الترجمة كعمل فني يختلف عن نظرتنا في الاغلب والاعم . فهم يؤرخون او يترجمون لرجالهم ليشيدوا بذكرهم ويشيعوهم بالثناء والمدح الى مقرهم

الاخير .. اما المترجم الحديث فهو قل ان يعنى بالمدح وما اليه ، وهو لا يتغاضى عن سوءات ابطاله ولا يخفي من موطن ضعفهم ، ولا يهول مما يحسب لهم في الحسنات ، ولا يجعل لاي هوى او غرض مكانا في نفسه وفنه سوى غرض التصوير الحق واحياء الشخوص الميتة نفوسا تتحرك على الورق .

وقد كانت التراجم القديمة في جملتها تقع في المجلدات الضخمة مكظوظة بالتواريخ الانسانية والارقام . أما درس ما يسمى بالعواطف وتحليل الدوافع والسبح مع نبضات القلب والغوص وراء بدوات النفوس وتصوير الازمات النفسانية والعرض للفتات الذهن .

فالمترجم الحديث حريص على ان يبرز الصورة بكل ما فيها من ضعف وقوة ، فيستعين بكتب بطله وكل ما كتب عنه ، كما انه يضع في المحل الاول خطاباته الخاصة ورسائله ومذكراته حيث النفس هناك على سجيتها ، ثم يحاول تكوين الصورة الاولية لبطله وهو لا يشترط في كل عمله هذا طريقة خاصة .. كما ان من خواص الترجمة الحديثة انها لا تحكم ، وانما قصاراها ان تفرض لا ان تجزم ، فهي لا تهتم بعصر البطل الا بقدر صغير يعين على فهمه وهي مستند انساني يعرض صحيفة حياة انسان لا اله ولا نصف اله . وهي لا تقرب من الانسان وكأنه خير كله او شر كله . وانما الشر والخير او ما يسمى كذلك كله قريب من الانسان .. »

*

وهكذا يبدو « معاوية نور » في اهاب الاديب المثقف الواعي الذي احرز قدرا كبيرا من الثقافة العالمية ، واستطاع ان يحيط بتياراتها المختلفة وان ينقل ذلك الى الادب العربي في اسلوب دقيق وعبارة نقية .

غير ان صورته الذاتية كمفكر لا تبدو واضحة في هذه النماذج التي نقلناها .

وقد استجاب معاوية نور لجيله وللثقافة الغربية حين اشترك مع الكتاب المصريين في الدعوة الى الادب القومي وكان احد الموقعين على الوثيقة التي نشرتها السياسة الاسبوعية في هذا الصدد . وكانت احدى اعمال الدكتور هيكل في مجال احياء الفرعونية وبعثها .

غير ان معاوية نور كان يفهم ( الادب القومي ) على انه تصوير للمشاعر الوطنية القومية ، ورسم البيئة نفسها ، وخلق ادب فيه انفاس الامة وروحها وعواطفها ومشاعرها .

يقول في السياسة الاسبوعية — ٢٠ سبتمبر ١٩٣٠ « ليس معنى الادب القومي ان نتحدث في موضوعات قومية ، ولو كان هذا يدخل فيه ، وليس لزاما على الاديب القومي ان يتكلم عن الحياة في الريف او في المدن او في وادي النيل ، وانما جوهر الادب القومي انما هو «الاحساس القومي» ، هو ان يكون الكاتب فنانا تمثلت فيه خصائص امته الشعورية ، والفكرية فابرزها في العمل الفني في ثوب تفسيره الخاص به كفرد من تلك الامة .. »

ولعله قد حاول ذلك حين رسم بعض ما أسماه « صور سودانية » تحت عنوان ( في القطار ) ..

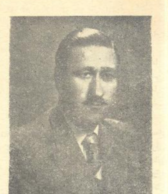
« .. بعد ان قطع القطار صحراء العتمور العاتية وما فيها من جبال ملتفة ورمال بيضاء منبسطة واحجار سوداء متناثرة في لج ذلك الخضم الذي لا تقف منه العين على شيء من صور الحياة النابضة ، سار ينساب الى ارض لا تحوجه الى مثل ذلك الكفاح والنضال القوي ، بل راح راكضا في اتساق وسرعة على ضفاف وادي النيل .. .. وكنت من قبل انظر الى هذه الصحراء وامعن النظر اليها وكلما امعنت النظر وجاشت لي الخواطر والذكر ، خيل الي ان لي تاريخا مع هذه الصحراء ، وانه محال ان تكون هذه هي ثانية او ثالثة مرة اشاهد فيها هذه الصحراء لما اشعر به من القرابة والعطف والايناس لهذه الحجارة التي تترامى بالقرب من سير القطار ..

والقطار سائر الى ان اقترب من مدينة شندي بعد ان مر بمدن عدة ، والمسافر لا يرى غير السهول الواسعة حينا والاشجار المتناثرة الكثيفة حينا اخر ، وقد يرى بعض الاحيان ارضا خضراء ، ولا يرى غيرها سوى الرمال والحصى . غير ان النظرة الى شجرة من هذا الشجر الذي تجده بين كل حين واخر ، واقف متدلى الاغصان في اسى واكتئاب . وصبر ووحشة يخالطها بشاشة او يمازجها فرح ، لحري بان يذهب بالانسان ان ليس لمثل هذه البقاع ان تكون مسكونة بالحياة كما عرفها وذاقها بين المدن الصاخبة، وانفاس الانسان النابضة، ووثبة الحياة المتدفقة.

كل هذا وبعض اصحابنا المسافرين المترفين في شغل عن الصحراء والسهول والاشجار وحديثها ، هذا يدخن سيجارته ، وغيره يقرأ في كتاب ، وثالث نائم ، وغيره وديع حالم ، وما ان يقف القطار عند قرية صغيرة يحسبها الانسان خلاء وقفرا ، قبل ان يطلع عليه بعض اهلها من شبان وشيب ومعهم اشياء من الطعام يرغبون في بيعها الى المسافرين او انواع من الخزف والانية ..

.. وقف بنا القطار في هدوء طاريء بمحطة من المحطات بعد ان اجتاز مدينة شندي ، وكنت تسمع المسافرين ينادون بعضهم بعضا : اقفل الشباك ، اقفل الباب .. بين قصف الرياح واصوات المسافرين ، وذلك لان الرياح قد ابتدات تعصف بشدة ، وتذر التراب في العيون ، والعاصفة تولول كالشارد المجنون ، والشمس تختفي بين الحين والاخر ، لان بالسماء دكنة غمام تتجمع وتقلع حينا ، ثم تتلاشى حينا اخر ، فتظهر الشمس سافرة ، وكان النيل الذي وقفنا بالقرب منه يرسل اصواتا هائجة من امواجه الثائرة ، وهكذا وقف القطار بين ولولة العاصفة وهدير الموج الصاخب ودكنة السماء وحلوكة الجو ... »

هذه صورة للقطار بين القاهرة والخرطوم ، وهذه صورة اخرى لتأملات في ليل الخرطوم على ضفاف النيل الازرق ..



عيسى الناعوري

# من أعلام الادب الايطالي الحديث

عيسى الناعوري

الذين سأتحدث اليكم الان عنهم من اعلام الادب الايطالي المعاصر ، هم اناس عرفتهم ، او على الاصح عرفت اغلبهم ، باشخاصهم وبادبهم، واحببت اشخاصهم وادبهم ، ولذلك اخترت ان يكون حديثي في هذه المحاضرة عنهم ، آملا ان يحبهم جمهوركم الكريم معي ، وان يستطيب الحديث عنهم . ولكن قبل الحديث عن الاشخاص واعمالهم الادبية لابد لي من كلمة قصيرة عامة عن الادب الايطالي لتكون المدخل الى ما اريد .

لقد كانت ايطاليا في الماضي مهد النهضة الاوروبية ، وكان ادباؤها العظام ، وشعراؤها وفنانوها العباقرة اول من فتحوا عيون الغرب – بعد انحدار مجد العرب في الاندلس نحو الزوال – على القيم الفنية والانسانية في الاداب والعلوم والفنون . فلقد كان دانتي ، وبتراركا، وبوكاتشيو ، وميكلانجلو ، ودافنتشي ، ورفائيل ، وسيظلون الى الابد معتبرين في مرتبة المعلمين الاولين لحضارة القرون الوسطى ، ورواد النهضة الاوروبية ، وستبقى آثارهم : الادبي منها والفني ، بين اثمن كنوز الانسانية .

وكما يحدث دائما ، لم تلبث الراية ان انتقلت الى شعوب اخرى راحت تسير بها قدما بخطى سريعة تساير تطور الزمن ، ومع ان ايطاليا استمرت تعطي الحضارة وتساهم فيها مساهمة فعالة ، الا انها اضطرت مع الزمن ان تأخذ من غيرها كما اخذ غيرها منها ، فقد عادت في الازمنة اللاحقة تاخذ عن الفرنسيين والروس ، ثم عن الانكليز والاميركيين ، او كما يقول المؤرخ الايطالي آرتورو مانينو في الجزء الثالث من كتابه ( تاريخ الادب الايطالي ) : « تضع في عروق الثقافة الايطالية الاقليمية دم الثقافة العصرية الاوروبية والاميركية الحي » .

والحياة كذلك دائما : عطاء ، قد يكون سخيا ، يوما ، واخذ في يوم اخر ، وعن طريق الاخذ والعطاء تمضي الحضارة في تطورها ونموها، وفي تلقي دم جديد اكثر شبابا واوفر حيوية ، لكي تكون خطاها اسرع واكثر امانا وثقة .

ومنذ القرن الخامس عشر حتى اوائل القرن العشرين لم تنقطع ايطاليا عن المشاركة السخية في الفكر الانساني ، بل قدمت في كل عصر اعمالا ادبية عظيمة لكتاب وشعراء كبار ، نذكر منهم الان ، لمجرد التعريف السريع ، لا الاحصاء الدقيق : لودوفيكو آريوستو ، توركواتو تاسو ، جوزيبي باريني ، فيتوريو الفييري ، اوغو فوسكولو، اليساندرو مانتزوني ، سيلفيو بيلليكو ، نيكولو تومازيو وغيرهم .

فاذا جئنا الى القرن العشرين هذا نجد ان الفكر الايطالي قد عاد من جديد الى الواجهة الامامية بين الاداب العالمية المعاصرة ، وعلى الاخص منذ الحرب العالمية الاولى الى اليوم . فهناك ادباء وشعراء يغذون الثقافة العالمية الحاضرة بدم جديد نقي. وقد بدأت ايطاليا تسترد مجدها الادبي ، في الواقع ، بمن انجبتهم من كبار الادباء الذين ولدوا في القرن التاسع عشر وماتوا في القرن العشرين ، من امثال: جوزويه كاردوتشي ، جوفاني باسكولي، جوفاني فيرغا ، غبرييلي دانونتسيو ، غراتسيا ديليدا ، لويجي بيرانديللو ، والناقد الايطالي الاكبر بينيديتو كروتشي. فبهؤلاء استطاعت ايطاليا ان تستعيد مكانها مرة اخرى ، وتندمج من جديد ، بثقة ملموسة ، في قيادة عجلة الفكر المعاصر ، سواء في حقل الشعر ام في حقل النقد الادبي ، وفي القصة والرواية ، وكذلك في المسرح . وفي القرن العشرين فاز اربعة من الايطاليين بجائزة نوبل للاداب ، وهم : جوزويه كاردوتشي وقد فاز بها عام ١٩٠٦ ، وغراتسيا ديليدا عام ١٩٢٦ ، ولويجي بيرانديللو عام ١٩٣٤ ، واخيرا الشاعر الصقلي سلفاتوره كوازيمودو عام ١٩٥٩.

لقد طبع كاردوتشي ودانونتزيو الربع الاول من القرن الحاضر بطابعهما الشعري ، كما طبعه فيرغا وديليدا وبيرانديللو بطوابعهم في القصة والرواية والمسرح ، واما بينيديتو كروتشي فقد طبع النصف الاول باكمله من هذا القرن بطابعه في النقد الادبي ، وفي النظرة الجمالية في الادب والفن ، وما يزال فكره يرشد الجيل الحي من النقاد الايطاليين الكبار اليوم . ولم يقتصر اثر هذه النخبة الممتازة من الادباء والشعراء الايطاليين على ايطاليا وحدها ، بل تعدى الحدود الى الاقطار الاوروبية كلها ، فكان مثار اعجاب ، واختلاف في الرأي ، وتأثر ، في كل مكان ترجمت فيه اعمالهم الادبية .

ثم اخذت تهب على الشعر رياح جديدة في اثناء الحرب العالمية الاولى وما بعدها ، وبرز بقوة شعراء جدد لم يلبثوا ان اخذوا يطبعون الجيل بطابعهم ، ويشربونه روحهم الابداعية المتحررة من قيود الاتباعية ( الكلاسيكية ) ، وقد تأثروا هم انفسهم بموجة الغموضية او الرمزية التي كانت قد ظهرت في فرنسا. ومن هؤلاء الشعراء : جوزيبي اونغاريتي ، ايوجينيو مونتالي، وسلفاتوره كوازيمودو ، الذين يعتبرون اليوم بين ابرز شعراء اوروبا ، لا ايطاليا فحسب ، وآثارهم مترجمة الى اكثر اللغات الغربية ، ان لم نقل كلها . ومثلهم كذلك الشاعر اومبرتو سابا الذي توفي منذ سنوات.

اما في حقول القصة والرواية والمسرح والنقد الادبي ، فقد تعددت الاعمال الادبية الكبيرة ، وتعددت الاسماء الادبية اللامعة ، بحيث لا يمكن الاحاطة بها . ولما لم يكن في وسعنا ان ننصف الجميع في هذه المحاضرة العابرة ، فلنكتف بذكر البعض القليل جدا منهم ، مع بعض المهم من آثارهم التي استحقت التقدير الكبير في ايطاليا والغرب . ومن هؤلاء :

١ – جوزيبي تومازي دي لامبيدوزا – صاحب رواية « الببر » التي اربت طبعاتها في الاربع السنوات الماضية على الخمس والسبعين ، في اللغة الايطالية ، وترجمت الى اغلب اللغات العالمية ، واخرجت اخيرا في فيلم سينمائي .

٢ – كورتسيو مالابارته ، مؤلف « الموت ، الجلد ، التوسكانيون الملاعين » .

٣ – انياتسيو سيلونه ، صاحب « فونتمارا ، خمر وخبز، حفنة توت ، اسرار لوقا ».

٤ – فاسكو براتوليني ، صاحب « وقائع عشاق مساكين ، الفساد، بطل من زماننا ، وميتيللو » .

٥ – ريكاردو باكيللي ، صاحب الروايات التاريخية : « الشيطان

---

※ القيت في قاعة كلية راهبات الوردية في عمان بدعوة من رابطة الكلية .

على بونتيلونفو ، عبيد يوليوس قيصر ، طاحونة نهر البو ، لن ادعوك بعد اليوم ابي ، مدينة العشاق » .

٦ ـ مارينو موريتي ، صاحب « الارملة فيورافانتي ، مفاجآت الاله الطيب ، انقياء القلوب ، وكتاب اصدقائي » .

٧ ـ برونو تشيكونياني ، صاحب « فيللا بياتريشه ، فيليا، الكنة »

٨ ـ ماسيمو بونتيمبيللي ، صاحب « الحياة الواسعة ، حواء الاخيرة ، ابن لوالدتين ، امرأة في الشمس » .

٩ ـ البرتو مورافيا، صاحب « الرومانية ، المرأة الشوشارية ، السام ، اللامبالون ، اقاصيص رومانية ، الاقاصيص ، اقاصيص رومانية جديدة » .

١٠ ـ السيدة البا دي تشيسبيديس ، صاحبة « من جانبها ، الكراسة المحرمة ، دعوة الى العشاء ، لا يعود احد الى الخلف ، هرب »

وهناك كثيرون غير هؤلاء ، اذكر من اسمائهم ، دون مؤلفاتهم : السيدة ايلزا مورانتي ، السيدة ماريا بيللونتشي ، جوفاني باتيستا انجيوليتي ، تشيزاري بافيزي ، ألدو بالاتسيسكي ، فيتاليانو برانكاتي، ايليو فيتوريني ، بونا فينتورا تيكي ، غويدو بيوفينه ، ايتالو كلفينو ، دينو بوتساتي ، جوزيبي ماروتا ، كارلو كاسولا ، ماريو صولداتي ، جوزيبي رايموندي ، جوزيبي آربينو وغيرهم من مشاهير الكتاب ، واغلبهم يعيشون الان ويوالون انتاجهم المرموق في ايطاليا ، والذي يتردد صداه في العالم الغربي باسره .

ومما يلاحظه دارس الادب الايطالي المعاصر بكثير من الاهتمام ان « ادب المقاومة » كان غزيرا فيه ، وما يزال يجد صداه في نفوس الايطاليين على الرغم من انقضاء سبعة عشر عاما على انتهاء العهد الفاشيستي ، وعلى الحكم الفاشيستي ـ النازي المزدوج الذي فرضته الحرب الاخيرة على الشعب الايطالي فترة من الزمن . وهذا يدل على ان الاديب الايطالي وطيد الصلة بظروف زمنه ومجتمعه ، وانه يناضل بكل بسالة لاجل الحرية ، ولاجل حقوق الانسان .

لقد شغلت المقاومة في حينها اكبر الكتاب الايطاليين ، فقد تجندوا لمقاومة الطغيان الدكتاتوري بكل قوة ، باقلامهم والسنتهم. وما تزال تتكرر طبعات العديد من الكتب والروايات التي انشأها اصحابها في مقاومة الدكتاتورية الفاشيستية ، ويقبل عليها القراء الايطاليون بحماسة وشغف لانها تعبر عن حب الحرية المتغلغل في نفوسهم ، ولانها تعلمهم ان لا يقبلوا الدكتاتورية ولو قادتهم الى الجنة ـ وهي بطبيعة الحال لا تقود الى الجنة ، لانها خضوع وعودية ورق اسود .

ولقد ذكرت لي الاديبة الايطالية الكبيرة السيدة ماريا بيللونتشي، حينما زرتها قبل عامين ، ان بيتها كان في اثناء الحرب الاخيرة مركز نشاط واستعلامات لحساب رجال المقاومة ، وما ان انتهت الحرب حتى تحول المركز الى صالون ادبي يعرف اليوم باسم « صالون الاحد » واصبح اعضاؤه من رجال المقاومة القدماء ، وممن انضم اليهم بعدئذ ، يعرفون باسم « اصدقاء الاحد » ، لان كل اجتماعاتهم كانت وما تزال تعقد يوم الاحد ، وقد انعقد اول اجتماع ادبي للصالون يوم الاحد الاول بعد تحرر ايطاليا من الدكتاتورية المزدوجة ، عام ١٩٤٥. وكان الصالون قد بدأ بمئة وسبعين عضوا ، فاصبح في ما بعد بعدد ايام السنة ، اي ٣٦٥ عضوا ، كما ذكرت لي السيدة بيللونتشي.

ولقد كانت المقاومة سببا في اضطهاد عدد كبير من الادباء الايطاليين من قبل السلطات الفاشيستية ، مما اضطر معه بعضهم الى اللجوء الى بعض الاقطار الاوروبية الاخرى ، وهناك في المنفى مضوا يتابعون الكتابة والعمل لتحرير بلادهم من الدكتاتورية الطاغية . وفي المنفى ايضا نشرت مؤلفات قيمة لعدد منهم . وقد عرفت شخصيا من اولئك الادباء الذين شردتهم المقاومة عن ارضهم الى اقطار اخرى الاديبين الكبيرين : جوفاني باتيستا انجيوليتي ، سكرتير نقابة الادباء الايطاليين السابق ، ورئيس جمعية الكتاب الاوروبيين في ايطاليا ، وكذلك انياتسيو سيلونه ، صاحب فونتمارا وخمر وخبز ، ومحرر مجلة « الزمن الحاضر » في روما، ورئيس جمعية حرية الثقافة في ايطاليا . وكانت روايتا فونتمارا وخمر وخبز لانياتسيو سيلونه قد ظهرتا اولا في سويسرا ، وبغير اللغة الايطالية، ثم عادتا فظهرتا في ايطاليا وباللغة الايطالية بعد تحرير ايطاليا وعودته اليها . وفي سويسرا كان سيلونه قد عاش مشردا من عام ١٩٣٠ الى ١٩٤٥ .

وهناك ادباء آخرون عديدون تعرضوا للاضطهاد والعذاب في سجون الدكتاتورية الفاشيستية ، وتحملوا العذاب الطويل القاسي ، ولكن السجن والعذاب لم يستطيعا ان يفتا في اعضادهم او يلينا من قناتهم، بل استمروا في مقاومة الطغيان، وازدادوا في مقاومته ضراوة حتى تحررت ايطاليا.

ومن ادب المقاومة يجدر بي ان اذكر ههنا مؤلفات فاسكو براتوليني العديدة المتنوعة كلها ، ومؤلفات انياتسيو سيلونه ، وتشيزاره بافيزي ، وايليو فيتوريني ، ولا سيما روايته « رجال ولا .. » وايتالو كلفينو ، وعلى الاخص روايته القصيرة « درب عشوش العناكب » وكارلو كاسولا، روايته ، فتاة بوبه ، وكورادو آلفارو ، الرجل القوي ، وكارلو ليفي، المسيح توقف في ايبولي ، وكثيرين غير هؤلاء ، فلقد اعطت المقاومة ثمارها الوفيرة ، سواء في حقل القصة والرواية ، ام في حقول الشعر ، والمسرح ، والنقد الادبي. وانك لتجلس الى الاديب الايطالي اليوم فتسمعه يحدثك باعتزاز عن نصيبه في المقاومة وادب المقاومة ، معتبرا ان محاربة الدكتاتورية اهم واجب على الاديب الذي يدرك رسالته في خدمة الحرية ، وخدمة التطور الانساني ، ونمو الحضارة وتقدمها.

وعدا ادب المقاومة نلاحظ ان القسم الاكبر من الانتاج الادبي الايطالي المعاصر ادب واقعي ولا اقول « ملتزم » ، لان للالتزام ، الكونفورميزم ، معنى غير معنى الواقعية ، فمعناه في الاصل : التجند في خدمة نظام معين، وليس في خدمة الحرية، والانسان الحر، والمجتمع المتحرر ، وواقعيته مستمدة من صميم الشقاء الانساني . وربما كان هذا ابرز ما يكون في ادب الكتاب الجنوبيين « ابناء منطقة كالابريا، والجنوب الايطالي ، وجزيرتي سردينيا وصقلية » لان هؤلاء عرفوا بانفسهم الفقر والشقاء اكثر مما عرفهما غيرهم من ادباء ايطاليا . وهذا لا يعني ان غير الجنوبيين لم يصوروا البؤس والشقاء كذلك في بلدهم . ومن غير الجنوبيين نذكر : جوفاني بابيني ، مثلا ، وفيديريكو توتسي ، وفاسكو براتوليني، وايليو فيليبو آكروكا ، ودينو كامبانا، وغيرهم .

وانت تقرأ صور الشقاء التي صورها ايليو فيتوريني ، الصقلي، في روايته ، محادثة في صقلية ، وروايته الاخرى القصيرة جبل سمبيون يغامز جبل فريوس ، وتقرأ كذلك صور البؤس التي رسمتها الاديبة السردينية غراتسيا ديليدا في جميع اقاصيصها ورواياتها ، والتي صورها انياتسيو سيلونه في مختلف رواياته ، او التي رسمها الاديبان الصقليان الكبيران جوفاني فيرغا ولويجي بيرانديللو في كل ما انتجاه في حقول القصة والرواية والمسرح ، وغيرهم وغيرهم من الجنوبيين، فيخيل اليك ان من المستحيل ان يكون في العالم بؤس مثل هذا البؤس الذي لا يصدق ، وفلاحون يعيشون على مثل هذا المستوى من الفقر والتعاسة ، ومن معاناة الاستغلال والاستبداد ، ومن الجهل حتى بابسط الامور التي تجري من حولهم وعلى مقربة منهم .

ويتعاون الادب الايطالي مع السينما الايطالية في تصوير هذه المظاهر الاجتماعية ، ويتلقاها الجمهور الايطالي بقبول رائع ، كما تلقى رواية «الببر» بكل ما فيها من صور البؤس، والعامية الساذجة، والحتمية، والاستغلال، والجهل، والاقطاعية، وتبدل الطبقات المستغلة. « بعد ثورة غاريبلدي لتوحيد ايطاليا تغيرت الطبقة الاجتماعية المتسلطة فقط، وبقي التسلط والاستغلال كما كانا ، لان الثورات ، في الغالب ، لا تفعل اكثر من انها تغير وجوه المتسلطين ، فتسقط اناسا لتضع غيرهم في محالهم ، ويظل الشعب الفقير المحروم الجاهل هو هو ، خاضعا لاستبداد السادة الجدد مثل خضوعه لاستبداد السادة القدماء » .

وفي اثناء الحرب العالمية الاخيرة لم يقصر الادب الايطالي عن تصوير الاهوال التي عاناها الشعب من جراء الحرب . وانت ترى صور

المآسي الاليمة منبثقة في العديد من القصص والروايات ، كما تراها في الشعر .

ولئن كان المجال لا يسمح بضرب الكثير من الامثلة النثرية والشعرية على ما يصور به الادب الايطالي المعاصر مآسي المجتمع وويلات الحرب، فلن نستطيع ان نمر دون ايراد بعض الشواهد القليلة من شعر كوازيمودو ، وهو شاعر من جزيرة صقلية ، تمرس بالشقاء في ارضه الجنوبية ثم انتقل الى الشمال ، وعاش في ميلانو اهوال الحرب الاخيرة وويلاتها ، فصور الشيء الكثير من كل ذلك في شعره الذي استحق عليه جائزة نوبل للاداب عام ١٩٥٩. ومن ذلك قوله في قصيدة بعنوان « حيث الاموات عيونهم مفتوحة » :

« سنتبع البيوت الصامتة ، حيث يقيم الاموات وعيونهم مفتوحة، والاطفال يبدون يافعين ، بابتساماتهم الكئيبة ، والغصون كضرب الزجاج في النوافذ الصامتة ، في منصف الليالي .

ونحن كذلك ستكون لنا اصوات موتى ، وان كنا قد عرفنا الحياة يوما ، او كان قلب الغابات والجبل ، قد رمى بنا الى ضفاف الانهار، ولم تكن بنا حاجة الى غير الاحلام » .

وقوله كذلك من قصيدة بعنوان « مرثية للجنوب » :

« اواه ! لقد تعب الجنوب من حمل الموتى ، على جانب مستنقعات الملاريا ، لقد تعب من الوحدة ، ومن ثقل السلاسل ، وفمه اكثر ما يكون تعبا، لكثرة الشتائم يكيلها لجميع اجناس البشر ، الذين نشروا الموت مع صدى اباره ، والذين شربوا دماء قلبه ... ألا ، لن يعيدني بعد اليوم انسان الى الجنوب » .

وهو يصور ظلم الدكتاتورية واستبدادها في قصيدة بعنوان « الجدار » فيقول :

« انهم يقيمون بصمت جدارا دونك، حجر وكلس ... حجر وحقد، وفي كل يوم يهبطون بالخيط الرصاصي ، من مناطق شديدة الارتفاع. ان البنائين جميعهم متشابهون ، فكلهم صفار ، ذوو وجوه مربدة، وشريرون ، يعلقون على الجدار احكاما ، ويفرضون على العالم واجبات، فاذا مسحها المطر عادوا فكتبوها من جديد ، باشكال هندسية اكثر تنوعا ، ومن حين الى اخر يسقط واحد عن تخشيبة الجدار ، فيسرع اخر ليحل محله ، ان جدار الصخور شاهق الارتفاع ، واليوم تعشش في ثقوب الاخشاب ، عقارب وهوام اخرى عديدة ، وتتدلى نباتات وحشائش سوداء » .

ومن أشد ما صور به كوازيمودو اهوال الحرب قوله الخاطف الموجز في قصيدته « ميلانو ــ اب ١٩٤٣ »:

« عبثا تبحثين بين الغبار ، ايتها اليد المسكينة ، فلقد ماتت المدينة، لقد ماتت ! ، لا تحفروا ابارا في افنية البيوت ، فلم يعد الاحياء يعطشون ، ولا تلمسوا الموتى الذين احمرت جسومهم وانتفخت كثيرا، دعوهم في ارض بيوتهم ، فلقد ماتت المدينة ، لقد ماتت ! ».

واليكم بماذا يخاطب كوازيمودو انسان زمانه في قصيدته « يا انسان زماني » :

« ما تزال انسان الحجر والمقلاع ، يا انسان زماني ، لقد كنت في الطائرة ، ذات الاجنحة الشريرة التي تصب الموت الزؤام ، لقد رأيتك داخل العربة النارية عند المشانق ، وعلى عجلات التعذيب ، لقد رأيتك: كنت انت ، بعلومك المسخرة للتدمير والهلاك ، لم تعرف الحب ولا المسيح، فاكثرت من القتل كعادتك دائما ، كما كان اباؤك يقتلون ، وكما كانت الحيوانات التي رأتك لاول مرة ، وهذه الدماء تنبعث منها الرائحة عينها، التي انبعثت يوم قال اخ لاخيه الاخر : « هلم بنا الى الحقول » ، وذلك الصدى البارد العنيد ، وصل اليك وملأ عليك يومك ، ايها الابناء، انسوا سحائب الدماء التي تتصاعد من الارض ، انسوا اباءكم ، فقد غمر الرماد قبورهم ، وغطت قلوبهم الطيور السود ، والرياح »

اما في مجالات النقد الادبي فان الاسس المتينة التي اقامها بينيديتو كروتشي خلال النصف الاول من هذا القرن ، واستحقت اعجاب الغرب كله ، لا ايطاليا وحدها ، والمدرسة النقدية التي شرعها ، قد كان لها تلاميذها المبدعون ، وانصارها الكبار الذين يكملون اليوم رسالة كروتشي بجدارة عظيمة . وقد اثبت النقد الحديث في ايطاليا فعاليته وجدارته بالبقاء ، ومقدرته على توجيه الادب المعاصر والمفاهيم الجمالية . ومن اشهر النقاد الاحياء الجديرين بالذكر وبالتقدير : كارلو بو ، لويجي روسو ، انريكو فالكوى ، سيرجيو سولمي ، اميليو تشيكي ، ليوني بيتشوني ، لوتشيانو انتشيسكي ، جيورجيو باساني ، غوفريدو بيللونتشي وغيرهم . وقد يبلغ من اهمية الناقد ان يمنح الشهرة لكتاب كان في نظر بعض الناس تافها لا يستحق النشر .

ودعوني اتمثل على هذا بما وقع لرواية « الببر » نفسها ، التي لقيت من الشهرة وسعة الانتشار ما لا مثيل له في الادب الايطالي الحديث ولا القديم . فحينما انتهى مؤلفها جوزيبي تومازي دي لامبيدوزا من تاليفها ، بعث بها الى دار موندادوري ، في ميلانو ، وهي اكبر دور النشر الايطالية اليوم ، ومن كبريات دور النشر العالمية كذلك ، ولكن المؤلف لم يلبث ان تلقى نسخة الرواية من جديد ، ومعها رسالة من مواطنه الروائي المعروف ايليو فيتوريني الموظف في الدار عينها ، يعتذر اليه فيها عن ان الرواية غير صالحة للنشر . ويقال ان المؤلف قد ارسلها مرة اخرى الى ناشر اخر ولكنها اعيدت اليه من جديد مع اعتذار بانها لا تصلح للنشر . ثم توفي المؤلف بحسرته ، وظلت روايته لدى زوجته حتى علم الناقد الكبير جيورجيو باساني وهو من موظفي دار نشر اخرى كبيرة ، هي دار فلترينيللي ، فاطلع على الرواية ، فاعجبته ، فكتب لها مقدمة نقدية لم تلبث معها ان نالت ما نالته من الشهرة الواسعة . واذا الرواية التي ردت الى مؤلفها مرتين في حياته بحجة عدم صلاحها للنشر، والتي ظلت مطوية الى ما بعد وفاته ، تظهر طبعتها الاولى في شهر تشرين الثاني عام ١٩٥٨ ، فلا يمر على ظهورها ستة اشهر حتى تصل طبعاتها الى الثامنة عشرة اي بمعدل ثلاث طبعات في الشهر الواحد ، ولا يجيء شهر حزيران من عام ١٩٦١ اي بعد عامين ونحو ثمانية اشهر فقط حتى تكون قد ظهرت الطبعة التاسعة والستون . وفي شهر نيسان من العام الماضي ١٩٦٢ رأيت في ايطاليا الطبعة الحادية والسبعين ، ولا ادري كم طبعة بلغت حتى اليوم .

وعلى الرغم من هذا النجاح الكاسح الذي لقيته رواية « الببر » والذي لا اريد ان يفهم من كلامي أنني انسبه كله الى مقدمة الناقد باساني وحدها ، مجردا الرواية نفسها من القيمة الذاتية ، فقد ظل هناك بعض النقاد يرونها غير ذات قيمة ، ولا يتورعون عن الجهر بآرائهم على صفحات الصحف ، والقراء يحترمون آراءهم هذه كل الاحترام . من ذلك ، مثلا ، ان الناقد الكبير انريكو فالكوي وهو من اكبر النقاد الايطاليين اليوم لم يتورع بعد ظهور الطبعة الثامنة عشرة من الرواية في مدى ستة اشهر فقط ، عن ان يهاجمها بمقالين نارين في جريدة « المعرض الادبي » الاسبوعية ، ويقول انه لا يستطيع ان يوصي حتى بوضعها في متحف للتاريخ الطبيعي ، وان « الببر » واسمه الحرفي بالايطالية « القط النمر » ليس اكثر من « قط ميت » ...

وقد سقت هذا مثالا على ما للنقد من اهمية ، وما للناقد من جرأة في ابداء رأيه ، وما لرأيه من اثر في تقويم العمل الادبي وبيان مزاياه الجمالية .

والى جانب من ذكرت من النقاد البارزين يعتبر الشعراء المشاهير ايضا من النقاد ذوي الرأي والنفوذ في تقويم الاعمال الادبية . واشير بنوع خاص الى الشاعرين الكبيرين ايوجينيو مونتالي ، وجوزيبي اونغاريتي ، كما ان كوازيمود ودييغو فاليري يعتبران ايضا بين ذوي الرأي المسموع في النقد الادبي والفني . ويضاف الى هؤلاء واولئك ايضا بعض اساتذة الادب في الجامعات ، لما لهؤلاء من صلة مباشرة بتقدير الاعمال الادبية ، وتقديم الصالح المهم منها للدارسين .

وفي ايطاليا اليوم ، الى جانب الرعيل الاول من كبار الادباء الذين برزت شهرتهم قبل الحرب الاخيرة ، ادباء واديبات شبان ، يدعونهم هناك « ادباء ما بعد الحرب الثانية » ، وقد اخذت فئة منهم كبيرة تبرز بقوة وتحتل اماكنها الى جانب الكبار المشهورين من الشعراء والروائيين وكتاب

المقال والدراسة . ووسائل الظهور والشهرة عديدة ومتاحة للمبدعين ، فهناك الصحافة ، والصفحة الثالثة من كل صحيفة يومية هي المجال الارحب والاهم للانتاج الادبي ، واغلب الادباء يبرزون عن طريقها ، وهناك ايضا الجوائز الادبية ، وهي كثيرة جدا ومتنوعة ، حتى ان لباعة الكتب المستعملة على ارصفة الشوارع جائزة سنوية يمنحونها للكتاب الذي ينال اكبر رواج عندهم ، واسمها « برميو براكارللا » وبهذه المناسبة اذكر ان الكاتب الذي فاز بهذه الجائزة وانا في ايطاليا عام ١٩٦٠ لم يكن ايطاليا، بل كان الطبيب والروائي الانجليزي ارشيبالد جوزيف كرونين ، وجميع مؤلفاته مترجمة الى الايطالية ، وتلاقي نجاحا عظيما جدا هناك .

والناشرون يستغلون فوز احد الكتب المنشورة لديهم للدعاية له ، وكثيرا ما تنجح هذه الدعاية ، فتتعدد الطبعات في مدة قصيرة بسببها .

***

لقد تحدثت طويلا ولكنني في الواقع لم اعط الا عرضا خاطفا جدا للادب الايطالي المعاصر . وليس من السهل ان اعطي صورة مفصلة واضحة لاتجاهات هذا الادب الغني في محاضرة او جلسة واحدة . ولذلك افضل ان اتحدث الان عن بعض من عرفت من الادباء الايطاليين الجديرين بان تعرفوا شيئا عنهم . وقد لا يكون هؤلاء اعظم الادباء الايطاليين ، ولكنهم دون شك من اهمهم واكثرهم نجاحا في انتاجهم الادبي ، وفي اقبال القراء على ادبهم . وابدأ اولا بالشعراء منهم ، بعد ان امهد باختصار للمذاهب الشعرية الحديثة التي ظهرت في ايطاليا .

عندما اخذت شمس الرومنتية تنكسف في الغرب في اواخر القرن التاسع عشر ، عرفت ايطاليا ، كغيرها من البلدان الاوروبية ، عددا من المذاهب الادبية الجديدة ، سواء في الشعر ام في النثر ، انتقل اليها بعضها من فرنسا ، ونشا البعض الاخر ، او على الاقل تطور ، في داخلها . ومن هذه المذاهب نذكر :

الطبيعية ، او الواقعية وبالايطالية : Naturalismo او Versimo التي اصبحت بسرعة المناخ الاهم للقصة والرواية بشكل خاص . وقد بدأت ، بشكل ما ، لدى مانتزوني صاحب الرواية الشهيرة « الخطيبان » ولكنها تطورت واخذت معناها ومفهومها لدى لويجي كابوانا ، وكان جوفاني فيرغا اشهر اعلامها ، وكذلك كان من اعلامها الكاتبة السردينية غراتسيا ديليدا .

ومنها ايضا الفسقية ، وبالايطالية Crepuscolarismo ، او الادب الكئيب ، المتالم من شقاء الحياة ، والمتطلع الى الموت كوسيلة للتخلص من الحياة ومراراتها . وقد سيطر هذا المذهب فترة قصيرة على نفوس عدد من الشعراء الشبان الذين كانوا يجدون انفسهم في كآبات « مالارميه » حينئذ ، وفي شيطانيات « رامبو » المتعبة ، وتهتك « بودلير » اليائس . وزعيم هذا المذهب هو سيرجيو كوراتسيني وقد توفي عام ١٩٠٧ ، وما يزال في العشرين من عمره .

ومنها كذلك مذهب البوهيميين الماجنين ، ويدعونه بالايطالية Scapigliatura ويدعون اصحابه Scapigliati اي الانطلاقيون، او المجان ، او ايضا ذوو الشعر المنفوش والمظهر غير المهذب . وهؤلاء قد كفروا بكل ايمان سابق ، وعلى رأسهم زعيمهم جوزيبي روفاني ، واغرقوا في الفسق والتهتك ، وقضى اكثرهم في ريعان الشباب الباكر : بعضهم مات مسلولا ، وبعضهم انتهى الى الانتحار . ونذكر منهم ايميليو براغا الذي مات في زهوة الشباب الغض ، وجوفاني كاميرانا الذي مات منتحرا، وايجينيو تاركيتي الذي مات مسلولا . وقد ظهر هذا المذهب ، ولندعه « اليائس المسلول » ، في مدينة ميلانو ، ولم يعمر طويلا .

وفي اوائل القرن العشرين ظهر ايضا مذهب اخر ، عرف باسم المستقبلية ، وبالايطالية Futurismo وكان اسم داعيته فيليبو تومازو مارينيتي وقد ولد في الاسكندرية بمصر عام ١٨٧٦ ، ثم عاش في فرنسا مدة ، ومن هناك طلع بمذهبه عام ١٩٠٩ . ويقوم هذا المذهب على المناداة بالتحرر من اللغة وقواعدها ، ومن المنطق والفصاحة ، والتخلي عن جميع خصوصيات ال « انا » : كالمرأة ، والحب ، والاحاسيس الناعمة ، وضوء القمر ، وما الى ذلك ، وبدلا من ذلك ياخذ الادب والفن مواضيعهما من الالة المتحركة ، ومن الجسور الحديدية ، ومن الحروب التي تطهر الانسانية بين الحين والحين ، اذ تقضي على اجيال لكي تفسح مكانا لاجيال اخرى جديدة . وبعبارة اخرى : اطلاق الكلام بملء الحرية، وان يكون الاديب عصريا في كل شيء وبكل معنى الكلمة ، دون تقليد ، ودون اعتبار لاي تقليد مهما كان ذا منزلة واعتبار .

وعلى الرغم من ان هذا المذهب قد سرى في جميع الاقطار الاوروبية بسرعة عجيبة ، واثار جدلا طويلا في كل مكان ، الا ان عمره كان قصيرا ، كعمر الفسقية والمجون ، بحيث نكاد نقول ان هذه المذاهب الثلاثة لم تكد تفعل اكثر من انها سجلت اسماءها في « دفتر المواليد » بين المذاهب الادبية الحديثة ، ثم نسيها الناس بسرعة .

واخيرا جاء المذهب الرمزي الجديد ، او الانغلاقي ، الذي يدعونه باللغة الايطالية Ermetismo ولا يزال هو المذهب السائد اليوم في ايطاليا ، وقد ظهر منذ الحرب العالمية الاولى ، على ايدي شعراء تاثروا بالرمزية الفرنسية وشعرائها الكبار امثال : مالارميه ، وفيرلين ، ورامبو وعلى الاخص بشاعرها الكبير فاليري ، الذي جدد معالمها ومفاهيمها . واشهر هؤلاء الشعراء الرمزيين الايطاليين الاحياء : جوزيبي اونغاريتي ، وايوجينيو مونتالي ، وسلفاتوره كوازيمودو . وهؤلاء الثلاثة، مضافا اليهم الشاعر دييغو فاليري ، هم الذين يعتبرهم الايطاليون اليوم وجه الشعر الايطالي المعاصر ، وعنوانه البارز .

الاول منهم يعيش في روما ، وهو شيخ يتجاوز السادسة والسبعين من العمر ، وقد ولد في اسكندرية مصر ، وكان يتكلم العربية جيدا لفترة ما ، ثم نسيها لعدم تكلمه بها طوال نصف القرن الاخير ، بعد خروجه من مصر . والايطاليون يعتبرونه شاعرهم الاول والمفضل ، ويعتبرون كل من في ايطاليا من الشعراء اليوم متاثرين به ، ان لم يكونوا تلاميذ له . وهو ابو المذهب « الهرميتي » الحديث في ايطاليا ، وكان قد تاثر به عن شعراء فرنسا الرمزيين – كما اسلفنا – الا انه اختط فيه سبلا جديدة اصبح هو رائدها عندهم . وشعره خطرات قصار ، قد تطول فتبلغ بضعة ابيات ، وقد تهبط في القلة حتى تنحصر في عبارة واحدة لا تتجاوز كلمتين . ودارسوه ونقاده يدللون على ذلك بقصيدته التي ترجمتها : « استنير باللانهائي » وهي بالايطالية : M'illumino d'immenso

وليس من شك في ان اونغاريتي في شعره رسام بارع : القصيدة الوصفية عنده لوحة رائعة ، يلونها خيال مبدع يزرع الجمال والنور في كل لفظة ، ويغرس الاحاسيس المرهفة في كل عبارة ، على الرغم مما في عبارته المغلفة من رموز وخيالات ، كثيرا ما تشف رغم غموضها . والى جانب القصائد التي قد تغمض فيها المعاني ، هناك قصائد اخرى ناعمة البوح ، جميلة التعبير . وهذا مثال من شعره الوصفي :

« من سيرافقني في الحقول ؟ الشمس تنفرس في جواهر ، من قطرات الماء ، على الاعشاب المنحنية ، وانا ابقى ممتلئا ، للمحبة ، في الكون الصافي » .

ومن قصائده في ديوانه الاخير « مفكرة الشيخ » الذي صدر في اواخر عام ١٩٦٠ ، وقد جعلها تحت عنوان « ترانيم اخيرة للارض الموعودة » :

« عندما يغادرك يوم ، فكر في اليوم الذي سيطلع ، الولادة ملأى بالوعود الدائمة ، ولو انها كثيرة التمزيق ، فلتعلمنا التجارب اليومية ، ان في حالات الارتباط والذوبان او الاستمرار ، ليست الحياة سوى دخان لا معنى له » .

وايضا : « نحن نهرب نحو غاية ، فمن ترى يعرفها ؟ لسنا نحلم بـ « ايتاكا » ، ونحن تائهون في بحر متقلب ، ولكن وجهتنا « سيناء » فوق الرمال ، حيث ستتجدد ايامنا الرتيبة » .

اما المسحة المسيطرة على شعر الشيخ اونغاريتي فهي مسحة الكآبة والالم . انه شديد الصلة بالحياة والموت ، يتامل فيهما ويطيل التامل . وقد بدأت صلته بهما تعمق منذ ان كان جنديا في خنادق الحرب العالمية الاولى ، يعيش بين الاشلاء الممزقة ، والخرائب المبعثرة ، وامام مناظر الرعب والدمار والفتك . من هناك مضى يفكر ويتامل ويتساءل ، ولكن

ذلك كله لم يطبع في نفسه غير الالم ، وغير التشاؤم ، وغير ترقب الساعة التي يغيب فيها عن العالم ، والتي يصبح عندها العمر الذي عاشه ، والمجد الذي ناله ، والاعمال الادبية التي انجزها ، وكل ما عمله في حياته ، عبثا واضغاث احلام . وهذه المسحة تتجلى بقوة في ديوانه الاول « المرفأ الدفين » كما تتجلى في ديوانه الاخير « مفكرة الشيخ » .

اما مؤلفات اونغاريتي الشعرية والنثرية فقد عنيت دار موندادوري في ميلانو بنشرها ، وصدر منها عشرة اجزاء للشعر ، وجزء نثري بعنوان « الصحراء وما بعد » . ومن الكتب الشعرية العشرة تحمل تسعة اجزاء عنوانا موحدا هو « حياة انسان » ولكن لكل منها عنوانا اخر خاصا به : ستة منها من شعره الخاص ، وثلاثة من مترجماته الشعرية عن الفرنسية والانجليزية وغيرهما .

وهذه عناوين الاجزاء الستة التي تضم شعره : الفرح ، احساس الزمن ، قصائد مبعثرة ، الالم ، الارض الموعودة ، صراخ ومناظر .

وايوجينيو مونتالي شاعر لا يقل مكانة عن زميله اونغاريتي لدى الايطاليين والغربيين ، وهو ايضا شيخ يبلغ السادسة والستين من العمر ، ويعمل رئيس تحرير في جريدة « كورييري ديلا سيرا » في ميلانو . وعلى الرغم من انه اصغر من اونغاريتي بنحو عشر سنوات ، الا انه يبدو مثقلا اكثر منه باعباء الشيخوخة . لقد ولد مونتالي فيمدينة جنوا في اواخر عام ١٨٩٦ ، وكان اغلب دراسته على نفسه . وفي الحرب العالمية الاولى دخل الجندية ضابطا . وبعد الحرب انشا مع صديقه الناقد سيرجيو سولمي مجلة عنوانها « الزمن الاول » في مدينة تورينو . ثم انتقل الى فلورنسا وبقي فيها الى عام ١٩٣٨ . وفي عام ١٩٤٧ انضم الى اسرة جريدة « كورييري ديلا سيرا » في ميلانو ، ولا يزال هناك الى اليوم .

ومونتالي شاعر ، وناقد ، ومترجم معا ، كزملائه الثلاثة الاخرين . وقد اصدر في الشعر ثلاثة دواوين نالت جميعها شهرة واسعة ، وهي : عظام السيد ج ، المناسبات ، العاصفة . وله مؤلفات اخرى نثرية ، ومقالات عديدة في النقد الادبي والفني ، وكتاب بعنوان « دفتر الترجمات » ترجم فيه لادباء وشعراء من الانجليز والفرنسيين .

وشعر مونتالي اكثر اغرافا من شعر زميله اونغاريتي والاخرين في الغموض ، حتى لغته اكثر تعقيدا وصعوبة من لغتهم . وهو ايضا تشاؤمي النزعة ، حتى لقد دعاه البعض « شاعر القنوط » . وهو يمر بحقائق الحياة دون مبالاة ، وكل همه ان يعبر عن تشاؤمه او قنوطه تعبيرا فنيا . وبعض النقاد يعتبرونه الشاعر الاكمل والاكثر عمقا بين ابناء جيله الذين ظهروا بعد الحرب العالمية الاولى . ولكن مونتالي كانما يحس بانه محكوم عليه ان يعيش في دنيا لا هدف لها ولا غاية ، وفي عزلة لا رجاء فيها . وشعره تعبير عن هذه النظرة التشاؤمية المريرة نحو الحياة والوجود ، ومع ذلك فانه يندى بالطراوة في اوصافه احيانا ، ولا سيما اذا عبر عن احاسيسه تجاه المنطقة المتربعة على الشاطىء الازرق الساحر في الريفيرا الايطالية الجميلة . ومن ذلك نجواه للبحر في قصيدته « البحر المتوسط » ، فقد اعاده مرأى البحر المتوسط الى الايام التي عاشها في مدينته البحرية « جنوا » ، فكان حنينه هو الذي يلون القصيدة بالرقة العذبة اذ يقول :

« ايها البحر القديم ، لقد ثملت بالصوت ، الذي يخرج من افواه امواجك حينما تنفتح وتتارجح ، كاجراس خضر ، ثم تنداح الى الخلف وتنحل ، ان منزل صيفياتي البعيدة ، كان على مقربة منك ، وانت تعرف هذا ، هناك في البلد الذي فيه الشمس محرقة ، وغيوم البعوض تملأ الفضاء ، انني اقف اليوم متحجرا في حضرتك ، كما كنت افعلحينذاك ، ايها البحر ، ولكن لا اظنني ما ازال اهلا لهذا الاشعار الحافل ، من انفاسك ، لقد كنتاول من قال لي ، ان خفقات قلبي الضئيلة ، لم تكن سوى لحظة عابرة ، امام خفقات عمرك ، وعلمتني ان اكتشف في اعماق كياني ، الناموس المغامر الذي يسيرك : فاكون رحيبا متنوع التجارب ، وثابتا على طبيعتي في الوقت نفسه ، وان اتجرد عن كل دنس ، كما تفعل انت حين تنداح الى الشواطىء ، وتقذف اليها الاقذار والنجوم

البحر ، وغيرها من الاشياء البالية التي في اعماقك » .

واما الشاعر سلفانوره كوازيمودو ، الذي فاز بجائزة نوبل عام ١٩٥٩ ، فهو من جزيرة صقلية — والنوابغ من ابناء الجنوب يفرون الى الشمال او الوسط طلبا للرزق والمجد معا — وقد ولد في مدينةسيراكوزا عام ١٩٠١ ، فهو اصغر زملائه الشعراء الكبار سنا ، ويعمل الاناستاذا للادب الايطالي في معهد فيردي الموسيقي في ميلانو . وهو ينحو فيشعره المنحى الضبابي الرمزي ، أو الانغلاقي ، كزميليه ، الا ان انغلاقيتهاقرب الى الرمزية الشفافة ، في الغالب ، كما راينا في القصائد القليلة التي اوردناها قبل قليل . وقد اصدر عددا من الدواوين الشعرية ، هي : مياه وارضون ، المزمار المغمور ، رائحة اشجار الكينا وقصائد اخرى ، ايراتو وابولليون ، قصائد ، واقبل المساء سريعا ، وقدم الغريب على القلب ، يوما بعد يوم ، الحياة ليست حلما ، الاخضر الزائف والحقيقي ، الارض التي لا مثيل لها » . وتحت عنوان « الاخضر الزائف والحقيقي » ينشر كو زيمودو منذ بضع سنوات صفحة اسبوعية خاصة في مجلة لي اوروبا الاسبوعية في ميلانو ، دون انقطاع ، وهي خواطر ومعالجات قصيرة في الادب والفن والاجتماع .

وكوازيمودو شاعر انساني النزعة ، علمه الشقاء ان يحس مع المتالمين ، فابرز احساسه هذا في الكثير من شعره ، ولكنه من ناحية اخرى ناقم ومنطو على نفسه في الاونة الاخيرة ، بعد فوزه بجائزة نوبل، وقد عرفت منه ان سبب انطوائه هو ما لقيه من تنكر زملائه له بسبب ذلك الفوز ، فقد راحوا يشيعون انه « شيوعي » وانه انما نال الجائزة لشيوعيته ، استرضاء للروس ، بعد ان كان قد سبقه الاديب الروسي باسترناك الى الفوز بها ، فاغضب فوزه الروس ، واعتبروا ذلك تحديا لهم . وقد قال لي كوازيمودو . ما ذنبي في انني فزت بالجائزة ؟ لقد تقدمت لها كما تقدم الشاعر الذي يريدون له الفوز « ويعني به اونغاريتي » ففزت انا ، وفشل هو . وليس امر الجائزة في يديفامنحها لنفسي وامنعها عنه ...

اما شعره فقد قدمت منه بعض النماذج ، وما بنا من حاجة الى المزيد في هذه المجالة . ولذلك انتقل الى الشاعر الرابع : دييغو فاليري . وهذا شاعر شيخ يعيش في مدينة البندقية « فينيسيا » ويبلغ من العمر نحو ستة وسبعين عاما ، ولكنه في الواقع يبدو اكثر شبابا من زميليه مونتالي واونغاريتي.

وفاليري عضو في الهيئة الادارية لنقابة الادباء الايطاليين، وفي جمعية الكتاب الاوروبيين في روما ، ورئيس لفرع هذه الجمعية في البندقية . وكان لفترة طويلة من عمره استاذا للادب الفرنسي في عدد من المدارس الثانوية ، وفي جامعة بادوفا القريبة من البندقية . ونتاجه الادبي متعدد الوجوه والالوان ، ففيه الشعر — بالفرنسية الى جانب الايطالية — وفيه النقد الادبي والفني ، والترجمة في الادب الفرنسي والادب الالماني . وهو في شعره رقيق العبارة ، وشعره غني بالصور الجميلة اللطيفة ، وموضوعاته الشعرية يتناولها من الطبيعة ، ومنجمال البندقية ومياهها الزرقاء المترامية ، ومن الاجواء المحيطة بها ، وهو يلونها ويمنحها الحياة بلمساته الرقيقة المرهفة ، وبعبارته الغنائية العذبة .

وعلى الرغم من انهعاصر مختلف المذاهب الفنية الشعرية الحديثة، فعاش بين الفسقيين ، والرمزيين ، والمستقبليين ، والانغلاقيين، وغيرهم، الا انه لم يتاثر بهم ، وظلت له شخصيته الشعرية ولونه الفني المتميز، وعبارته السهلة السلسة ، مع شيء من الرمزية الجميلة في شفافيتهاوفي نعومتها . وهذا نموذج من شعره :

« القمر يشع بين الاغصان ، والفجر على الجبل ، والفتاة تغمس ذراعيها الشقراوين ، في سماء البركة ، والشجرة البنية تشبه دجاجة، ينتفش ريشها كله ، وتنشر الفتاة الثياب ، فينكشف صدرها عندما تنحني ، والجبل كرغيف خارج من الفرن لتوه ، حار ، تفوح منه رائحة القمح والملح ، وتنزع الفتاة مريولها ، فتبدو في مثل لون الفجر ، هناك من يضحك ضحكة خافتة ، لعله الجدول ، او لعلي انا ، وها هي

بهرب وتقول لي : وداعا ، وهي تلوح بيدها الصغيرة ، يا لي من شيخ مسكين هائم ، اهز الغصن والتقط حبة الخوخ الساقطة ، فامضغهـا ، واحس في دمي المجنون ، بتسرب حلاوة الدنيا باجمعها ! ».

ولفاليري عدد كبير من المؤلفات ، منها ثلاثة دواوين شعرية ، هي: قصائد قديمة وجديدة ، الزمن الثالث ، الناي ذو القصبتين . ومجموعة اخيرة بعنوان « الايام الجديدة » اضافها اخيرا الى المجموعة الشعرية الكاملة التي صدرت في هذا العام عن دار موندادوري . ولـه كذلـك بعض المؤلفات النثرية التي تضم مقالات ودراسات مما كتبه ، ومن اهمها: خيالات من البندقية ، ودليل عاطفي للبندقية . وعدة كتب مترجمة عـن الادب الفرنسي خاصة ، او دراسات لادباء فرنسيين.

✽ ✽ ✽

بعد هذا التعريف الخاطف بعدد من الشعراء الايطاليين الاحيـاء واتجاهاتهم او الوانهم الشعرية ، احب ان اقدم ايضا طائفة قليلة مـن الادباء الناثرين ، والروائيين منهم بشكل خاص . ولعل اول من يتبادر الى الذهن من هؤلاء هو البرتو مورافيا ، لانه الاديب الايطالي المعاصـر الوحيد الذي وصلت شهرته واسعة عريضة الى جمهور القراء في بلادنا العربية ، لكثرة ما ترجم من رواياته الى العربية ، وما كتب عنه في مختلف الاقطار العربية . غير انني لهذا السبب نفسه ارى ان لا اتحدث عن مورافيا ، بل اتجاوزه الى عدد اخر من رفاقه ، وبينهم من قد يكونون اوسع شهرة من مورافيا في الغرب ، واقرب الى نفوس القراء الايطاليين والغربيين .

ومن هؤلاء أذكر فاسكو براتوليني ، الاديب الذي نشأ في اسفـل السفح من الحياة ، وتعفر بالكثير من صنوف الشقاء ، ثم لـم يلبـث بعصاميته وذكائه ان بلغ الذروة ، واصبح أدبه يقرأ في ما لا يقل عـن خمس وعشرين لغة في مختلف اقطار العالم . انه اليوم يعتبر علما مـن اعلام القصة والرواية في الغرب ، لا في ايطاليا فحسب . والقصـة عند براتوليني هي واقع اجتماعي ، يزيده الفن رسوخا في صميم المجتمع ، ويخلع عليه كل المؤهلات التي تجعل منه عملا كله عمق ، وانسانية ، والتصاق بالحياة بالحياة التي يضطرب فيها المجتمع ، وفوق كل ذلك بساطة وبعد عن التطبيل والتهويل ؛ فبراتوليني انسان متواضع ، طيب القلب ، لم يزدهه ما بلغه من مجد ادبي ، وهو يتحدث – حين يتحدث عن نفسه او عن سواه – بكثير من الخجل ومن التواضع . وتسأله عن احب مؤلفاته اليه – وكثيرة هي مؤلفاته – فيتردد طويلا ، ويحاول ان يتهرب مـن الجواب لانه يشعر بان كل ما كتبه عزيز عليه ، اثير عنده ، حتى اذا ما اصررت عليه اجابك وهو ما يزال مترددا : « شارع المخـازن ، الحي ، احداث عائلية ، ووقائع عشاق فقراء » .

اما عدد مؤلفات براتوليني الروائية والقصصية فقد بلغ ثلاثة عشر كتابا . وقد دفع اخيرا الى الناشر بالكتاب الرابع عشر ، وهو روايـة جديدة بعنوان « ثبات الادراك » ، ومن هذه المؤلفات روايتان متلاحقتان هما ( ميتيللو ، والتبذير او «الفساد» ) وستتلوهما رواية ثالثة في وقت قريب ، لتصبح المجموعة ثلاثية متماسكة ، وان تكن كل منها رواية كاملة قائمة بذاتها . وله ايضا « فتيات شارع القديس فريديانو » ، وقلبي في حي بونتي ميلفيو » وهذه الاخيرة تسجل ذكريات ايام المقاومة ، اذ كانت منطقته حينذاك في بونتي ميلفيو في روما . اما اول رواية ظهرت لـه فعنوانها « البساط الاخضر » . وقد ظهر له على الشاشة حتى الان ثلاث روايات . وهو من الادباء الايطاليين القلائل الذين يعيشون مـن شق القلم وحده . ويعمل براتوليني مع زملائه : البرتو مورافيا ، وبيير باولو بازوليني ، وجورجيو باساني ، وغيرهم في كتابـة السيناريـو للسينما ، الى جانب التأليف ، والكتابة في عدد من الصحف.

ولقد كان براتوليني من الاعضاء العاملين البارزين في الحزب الشيوعي الايطالي هو وعدد اخر غير قليل من الكتاب الايطاليين – ومثلهم كثير من الكتاب في غير ايطاليا – حتى كانت احداث المجر الاخيرة، فكفر عند ذاك بالشيوعية والحزب الشيوعي هو وكثير من زملائه . وقد هاجمته الصحف الشيوعية على اثر ظهور كتابه « التبذير » ، وقد سألته في ذلك انا وصديق لي من ليبيا حين زرناه في منزله ، فاجاب ببساطة : « يريدون ان اغمض عيني واسير في استسلام اعمى ، وهذا غير ممكن . أاذا قال « توليياتي » – زعيم الحزب الشيوعي الايطالي – ان السمـاء مربدة بالغيوم ، وانا اراها ضاحكة بالشمس ، استطيع ان احني رأسي موافقا على قوله ؟ وكذلك ليس من المعقول ان اسمع باحداث المجر او بمثلها – وانا الذي ذاق مرارة النضال العنيف لاجل الحرية – ثم اصدق ان الحزب على حق » .

ومن كبار الروائيين : انياتسيو سيلونه ، وقد اشرت اليه في مـا تقدم ، كما ذكرت اسماء عدد من اهم رواياته . وهو كذلك من الكتـاب الذي يؤمنون بان للادب رسالة اجتماعية ، وان غايته هي خدمة الحريـة والحياة الكريمة، والعمل على توفير كل اسباب العيش السعيد للمجتمع. والى ذلك تهدف رواياته كلها .

واذا كان في ايطاليا عدد كبير من الكتاب الذين يستهدفون المجتمع في ادبهم بشكل مباشر صريح ، فهناك ادباء اخرون لا يقلون عنهـم شهرة في ايطاليا والخارج ، ولكن ادبهم ينحو المنحى الخيـالي ، او الرمزي غير المباشر . ومن هؤلاء اذكر الروائي دينو بوتساتي المحرر في جريدة كورييري ديلا سيرا في ميلانو ، ومؤلف رواية صحراء التتـر والرسم الكبير وبرنابو ابن الجبال وغيرها من الروايات والمسرحيـات العديدة المشهورة . وكذلك زميله الروائي ايتالو كلفينو مدير النشر في دار ايناودي للنشر في تورينو ، ومؤلف روايات البـارون المتحفز، الفيكونت المشطور ، الفارس غير الموجود ، درب عشوش العناكب . وعدد كبير جدا من الاقاصيص الملأى بالخيال والطرافة معا.

فرواية صحراء التتر مثلا ، وهي من اهم اعمال دينو بوتسـاتي ، هي قصة ضابط شاب يتخرج من الكلية العسكرية ملازمـا ، فيرسله رؤساؤه الى قلعة بعيدة على الحدود ، فيها حامية كبيرة تظل هنـاك دائما ترقب غزوة قد يقوم بها التتر يوما. وقد توالت الاعوام والحقب وتعاقبت ارساليات الجنود والضباط الى القلعة ، فيشيخ الواحد منهم، وقد يموت دون ان تتاح له عودة الى اهله ، او قد يصبح غير ذي نفع فيعاد الى ذويه لكي يموت بسلام. ويظل صاحبنا الضابط في القلعة اربعين سنة وهو يترقب غزوة التتر التي لا يدري احد من امرها شيئـا سوى ان وراء الحدود البعيدة جدا جماعة اسمهم التتر ، قد يقومون يوما بهجمة مباغتة على القلعة . ويمرض الضابط بعد ان يشيخ فـي الانتظار ، وحينذاك فقط يبدو في البعد السحيق غبار غزوة مقبلـة ، وتعمد قيادة الحامية الى ابعاد الضباط والجنود المرضى والذين لا نفـع منهم للحرب ، وبينهم ضابطنا الذي كان شابا متحمسا قبل اربعـين سنة ، وكان يتلهف دائما على الاشتراك في حرب التتر الغزاة . فيعود الى اهله مريضا متهدما ، لم يحقق امنية ، ولا استفاد من عمره شيئـا ، بل اضاعه كله في انتظار سخيف غير مثمر .

ومثل ذلك رواية « الرسم الكبير » التي تدور على عالم شهيـر اضاع العمر في صنع جهاز هائل لزوجته التي خانته مع شاب اخر ، ثم تدهورت سيارة بها وبعاشقها فماتا معا . وأراد العالم ان يعيد اليهـا الحس – شغفا بها ، وانتقاما منها في آن واحد – فصنع الجهاز علـى شكل مدينة صغيرة ، او حي مؤلف من عدة قباب متشابكة الابنيـة ، متواصلة الانابيب والاسلاك والخطوط الهوائية ، وجعل فيها الات عديدة شديدة الدقة والحساسية ، ليسترد بها احاسيس زوجته وانفعالاتهـا ، واشواقها ونبضات قلبها ، لتظل تتعذب بهذا الاحساس الذي لا يمنحها ما يتطلبه الاحساس من تحقيق الرغبة . حتى اذا تكامل الجهاز واصبح يحقق الغاية التي ارادها المخترع ، امسك الجهاز مرة بزوجة زميل اخر للعالم كانت تستحم عارية في البحر على مقربة منه – اذ كـان جسمها جميلا ، فغار الجهاز الحساس من جماله الذي يستطيع ان يحقق مـا يشاء من الرغاب والشهوات بسبب تمتعه بالحياة الكاملة ، مع حرمـان الجهاز من ذلك – وكان ذلك بواسطة اذرع ومخالب معدنية طويلة مركبة في الجهاز ، وظل يقودها الى الداخل ، مجتازة بناء بعد بناء حتى كادت تبلغ القلب ، ففطن العالم الى غياب زوجة زميله ، فـراح يبحث عنهـا



حارث طه الراوي

# وجه ميخائيل نعيمه

بقلم حارث طه الراوي

بعض الوجوه لا تقرا عليها سرائر اصحابها ونزعاتهم في الحياة، حتى انها تبدو، لفرط ابتعادها عن التعبير وكانها جبلت من الاسرار المغلقة والالغاز المحيرة. وكثيرا ما نرى مثل هذه الوجوه الخرساء. حتى اذا تكلم صاحب مثل هذا الوجه واشار بيده وضحك وقهقه، وانطلق مع سجيته، عرفنا بعض ما تنطوي عليه سريرة صاحبه ...

ووجه ميخائيل نعيمة ليس من هذه الوجوه التي نحتاج معها الى مفاتيح الكلام او الاشارة او القهقهة لانه وجه معبر بكل معنى الكلمة، نطل منه، بكل يسر وبساطة على سريرة صاحبه ونزعته في الحياة ...

وليست كل الطرق التي توصلنا الى سريرة ميخائيل من خلال وجهه قصيرة ومعبدة، ومن اراد الطريق المعبدة القصيرة فليسلك طريق عينيه ... ولكن الذي يلاحظه كل من اجتمع بميخائيل ان ليس هناك من مجال للاختيار في سلوك الطرق المؤدية الى دخيلة هذا الرجل الذي نذر حياته للتفكير والكتابة. فما يكاد الانسان يبصر ميخائيل نعيمة حتى يشعر بشيء من الرهبة تجاه عينيه العسليتين الملتهبتين ... فاذا حول المرء نظره عنهما – وقلما يستطيع ذلك – اعاد الكرة الى هاتين الشعلتين البنيتين اللتين تكادان ان تنفثا اللهب وتقذفا الشرر ...

ولا يدري المرء من اي موضع من العينين يتطاير الشرر. امن الحدقتين الناريتين ام من البياض الذي تشعان منه ؟ – واي بياض عجيب هذا الذي تشابكت فيه الاوردة الحمراء. اي بياض مفزع هذا ؟!

لا. لا. ان هاتين العينين القاسيتين لا يمكن، على الاطلاق، ان تكونا عيني فنان يغترف من قلبه ويسقي الناس من نجيع جراحه، فعين صاحب القلب الجريح المعصور تكون، في الغالب، فاترة، ذابلة، ناعسة، تشع بالرحمة والغفران ...

ان هاتين العينين المتأججتين انما تعكسان بريق فكر صارم في احكامه، لا يتزحزح ولا يستسلم. وقد يكون صاحب هاتين العينين قائد جيش او فيلسوف امة او رئيس محكمة جنايات ولكن لا يمكن ان يكون شاعرا الا اذا اراد ان يخضع الشعر للفكر فيتحدى حتى المقاييس التي يؤمن هو بالذات بها ...

اسمع عينيه عندما يتكلم لسانه فان لسانه لا ينقل اليك الا لغة العينين في شيء من الاختصار. وهو لا يبتسم – وقلما يبتسم – الا ليكبح جماح اللهب المحرق في عينيه، وعندئذ يتحول اللهب النحاسي الى بريق فضي شفاف وتتراقص الاخاديد التي حفرها الزمن حول هاتين الشعلتين المتقدتين ...

يشهد الله، كم هي عذبة وجميلة ورائعة بسمة ميخائيل وضحكة ميخائيل، لانه يبسم بقلبه ويضحك بقلبه، فالصلة بين قلبه وعينيه كالصلة بين الرضيع وثدي امه ...

ان هذا الرجل المفكر في بواطن الحياة اكثر من ظواهرها، لا يتصنع البسمة ولا يتكلف الضحكة الخفيفة المتزنة، ويعرف جيدا كيف يكبح جماح البسمة العريضة ويخنق الضحكة ذات الاجراس ...

واذا ابتسم ميخائيل او ضحك او عبس واردت تفسيرا لبسمته وتأويلا لضحكته او سببا لعبوسه، فلا تركن الى اشارة يمناه وضرباته العصبية على المنضدة او الى ثغره المثقل بالبسمة او الضحكة او الى جبينه المقطب او الى كلماته المركزة الموجزة، بل تطلع الى عينيه لتعرف منهما تأويلا لكل ذلك.

واياك ان تغضب صاحب هاتين العينين. اياك ان تثير اعصابه المتشنجة المكدودة، فانك اذا اغضبته وسلمت من وخزات لسانه، فكيف تنجو من لهب عينيه ؟ كيف تنجو من جمرها وشررهما. كيف تنجو من الخناجر غير المنظورة التي تقذفهما عليك هاتان العينان الثائرتان فتهشمك تهشيما من غير رحمة ولا شفقة ...

لقد قرات الكثير عن عجائب عيون العباقرة، واذهلني وصف « زفايج » لعيني « تولستوي » ولكن متى كان الوصف كالعيان ؟

ولقد شاهدت، خلال سنين عديدة، صديقي

---

* من بحث طويل عن ميخائيل نعيمة عن كتاب « مع الادباء » المعد للطبع.

# هواجس الطريق

يا دهشتي مما راى الناظران
تسير في الشارع مزهوة
وفوق كتفيها بدا شعرها
وثغرها الوردي اسطورة
يحوم قلبي حوله ظامئا
ومقلتاها في ليالي الهوى

غانية كزهرة الاقحوان
فتلهب الفتنة طي الجنان
منحدرا كانه افعوان
تروي حكايات الليالي الحسان
لخمرة الحب ، ودفء الحنان
اشرقتا ، انهما كوكبان

حبيبتي ، يا غنوة حلوة
ابدعك الخالق ترنيمة
يهتف في عينيك لحن المنى
يسبح بالوهم فؤادي الذي
من خلجات القلب شدت لها
كلله البدر بأعراسه

تسيل كالعطر بثغر الزمان
يشدو بها الشاعر في كل آن
فينتشي الروح بخمر الدنان
يطرق ابواب الهوى بأفتنان
في شاطىء الاخضر اسمى مكان
وشع في عالمه الفرقدان

حبيبتي في شرفات الهوى
عانقتها بين انسكاب الشذا
ناغيتها تحت سكون الدجى
واليوم قد ذقت هموم النوى
احتضن الشوق فتهفو الرؤى
في روعة الفجر اما نلتقي

شمس بها قد اشرق الخافقان
اذ نحن في حقل الهوى وردتان
اذ نحن في ثغر السما نجمتان
من بعد ان لف رجائي الدخان
للنرجس النابت والارجوان
حبيبتي ، قبل فوات الاوان

بغداد

خضر عباس الصالحي



الامر بلا تفكير ولا روية قد تغير الان، فاعترف لها الناس بانها فتاة طيبة جادة تخفي انوثتها تحت ستار من الصرامة والسعي والمثابرة ليتاح لها منافسة الرجال في ميدانهم .

وجمع نافذ زمام شجاعته ، وكان شابا مثقفا رزينا ، فدعاها الى مرافقته الى السينما ، وسره انها لبت الدعوة بلا تردد ولا تصنع . وكرر الدعوة مرتين او ثلاثا . وعندما استصحبها الى دارها في الليلة الاخيرة ، قال نافذ :

« اصارحك انني قد مللت حياة العزوبة وارغب في الزواج قبل ان يمضي عهد الشباب . »

ــ نعمت الفكرة . وماذا يمنعك من تنفيذ رغبتك ؟

ــ انني في الحقيقة لم اجد حتى الان الفتاة التي تصلح شريكة لحياتي . ولعل افكاري من هذه الناحية عتيقة بالية ، فانا اؤمن بسيطرة الرجل واريد ان تكون زوجتي مطاوعة لي في البيت ... لا اعني انني اود التحكم والاستبداد ، ولكن اخشى ان تكون فتيات اليوم الدارسات العاملات هن المستبدات او عسيرات الانقياد . .

ــ من قال لك ان الفتيات المهذبات صعاب المراس او يرمن التحكم في دارهن وزوجهن ؟

ــ اليس ذلك صحيحا ، يا نجوى؟

قالت نجوى : « لا اظن ذلك صحيحا ، واعتقد ان هاته الفتيات ، جلهن ان لم يكن كلهن ، يحلمن ببيت صغير سعيد وزوج يجمع صفات الرجولة ، وهن على استعداد لرعايته وشد ازره وخوض معركة الحياة الى جانبه . »

فبدرت من نافذ صيحة وقال :

« اتعتقدين ذلك حقا ، يا نجوى ؟ »

واضاف قائلا بعد صمت قصير : «هل تسمحين لي ... ان اطلب يدك يا نجوى ؟ »

ادارت الفتاة وجهها وقالت بحياء :

« انني من اسرة محافظة ، يا نافذ ، فخير لك ان تخطبني الى ابي . »

بغداد

مير بصري

# شاعرة العراق نازك الملائكة

بقلم جميلة العلايلي

* * *

لقد علق بذهني سؤال منذ اعوام قلائل ولم احاول يومئذ ايقاف فكري عليه لمعرفة الجواب حيث وقعت تحت تأثير بعض الشواغل التي تطوي الانسان فلا يملك من امر نفسه شيئا ، ومرت الايام ولم اجد فرصة للعودة الى ذلك الماضي الذي بعث هذا السؤال .

وفجأة وجدت الجواب بين يدي محسوسا مقروءا وقبل ان اسجله اعود بالقارىء الى من دفعتني الى سؤال هذا الجواب للصلة الشعرية التي تربط بين من الهمتني السؤال ومن الهمتني الجواب .. فكلتاهما شاعرة ..

منذ اعوام قلائل كانت تتردد علي شاعرة مصرية لمع اسمها منذ اعوام وكانت تتردد على جميع الاندية الادبية في القاهرة وقتذاك ، وفي يوم ما اثناء زيارتي سألتني الشاعرة .. عن انتاجي الشعري لتقرأه اذ لم يسعدها الحظ على حد تعبيرها لتقرا لي شعرا .. وتمنيت لو سبق تعارفنا لقاءنا بعض سنين لتسمعني في الاذاعة او المهرجانات او تطالع ديوان شعري « صدى احلامي » الذي نفد واعتذرت لها راجية من الله ان يعينني على طبع ديواني الثاني « انفاس قلب » قريبا .. وذكرت لها بعض الصحف التي تجد فيها ما ينشر من شعري او ما سبق نشره وقدمت لها بعض مؤلفاتي القصصية .. ولما عادت لزيارتي وسألتها رأيها عن اقاصيصي اجابت انها لم تحاول قراءتها ولو حاولت لما فهمت لانها لا تفهم غير الشعر وأفهمتني انها لا تقرأ غير الشعر ولا تكتب غير الشعر .. وانصرفت زائرتي الشاعرة المعروفة وانصرف معها خاطري ليبحث وراءها علني اهتدي الى جواب السؤال الذي علق بذهني ساعتئذ : هل يمكن لشاعرة ان تجهل ادب النثر كالقصة والنقد والدراسة ؟ ورحت استعرض اديبات الشرق وشاعراته متغاضية عن نفسي .. ولم احاول ان استند الى الشعراء والادباء اذ فيهم من يجمع بين النبوغ الشعري والادبي .. كالشاعر الكبير المرحوم الدكتور احمد زكي ابو شادي ، الذي كان طبيبا وعالما ونحالا ودجانا وشاعرا واديبا وباحثا وناقدا ، وله في كل اتجاه من هذه الاتجاهات نشاط ملحوظ وانتاج بارز . وكذلك المرحوم الشاعر الدكتور ابراهيم ناجي كان طبيبا وباحثا وشاعرا وناقدا وقصاصا ومحاضرا وتشهد له آثاره الطبية والادبية والشعرية بالنبوغ . والاديب المعروف الاميرالاي اركان حرب عبد الفتاح ابراهيم شاعرا ملهما وناقدا وبحاثة واديبا يجول في ميادين الادب العسكري كما يجول في ميادين العلوم والفنون والترجمة والنقد في مهارة فائقة وقد برز في جميع تلك الميادين . وشاعر العاطفة الرقيق احمد رامي في الوقت الذي كانت القلوب تتغنى بأغاريده الرائعة كان يترجم اروع آثار الادب الفارسي ..

ولست اريد ان اقدم هذه النماذج مصداقا لرأيي الذي يقرر ان الشاعر لا تثبت قوائم شاعريته الا اذا امتد تفكيره الى ابعد الآفاق ، وتخطى المسافات ليخبر ما وراء الابعاد ولن يفقد توازنه الشعري في تنقله وتطوافه ..

ولقد عنَّ لي يوما ان اناقش زائرتي الشاعرة لاثبت لها ضرورة تعودها على قراءة الوان الآداب الاخرى في تذوق واستيعاب ولكنني نكصت خشية ان تمل مجلسي قانعة بان اغريها على قراءة بعض اقاصيص الادباء الممتازة ولكنها اعرضت ، وحاول اديب خبيث كان يحضر مجلسنا ان يحبب اليها قصصا من الشعر المنثور كأقاصيص المستشار حسين عفيف وهي من اروع ما كتب في الشعر المنثور القصصي ، فلم تتحرك رغبتها . وامعن الاديب في تقريبها الى هذا اللون فذكر لها قصة « الطائر الحائر » ( من تأليفي ) وعقبت انني كتبتها في مستهل صباي قبل ان اعرف ماهية الشعر المنثور وارسلتها الى المرحوم الدكتور ابو شادي لينشرها في مجلة « ابولو » ولكنه ارغمني على طبعها كنموذج للشعر المنثور كما اسماه يومئذ واضطررت ان اطبعها وكانت باكورة انتاجي القصصي ولعله بالغ في اطرائها ليغريني على المضي في كتابة القصة بجانب كتابة الشعر وعلمني ان شاعرية الشاعر اذا عجزت عن تحديد معالمها الشعرية فلتنسرح الى آفاق اخرى اكثر رحابة وحرية وليس هناك افسح من ميدان القصة ..

عند هذا الحد توقفت جولتي الفكرية خضوعا لمشيئة احداث الحياة التي تنقل الانسان مضطرا من عالم الى عالم .

ونسيت مع ما نسيت رغبتي في كتابة دراسة عن علاقة الشعر بالادب وهل هو جزء منفصل منه ؟ او متمم له ؟ او الاصل فيه ؟

وظلت الاحداث تنقلني من فكر الى فكر حتى وجدتني فجأة اعيش في دنيا شاعرة العراق الرقيقة نازك الملائكة اتنقل بين رياض شعرها الزاخر بالحساسية الاصيلة ، احلق بروحي مع « عاشقة الليل » يحرقني وهج الشظايا التي اندلعت من انفاسها متأثرة بحرارة تلك الانفاس ، واغوص في غير ضجر خلف « قرارة الموجة » متلمسة ما حاولت ان تشعر قراء شعرها به لاهتمامها بالصور الطبيعية حتى تبدو حية متجسدة بتعبيراتها الفوارة محافظة على استقلالها الفكري وقد بدت روح الشاعرة مجسمة واضحة خلف السطور كأنها توحي للقارىء بقية ما احتفظت به من مشاعر وخواطر جمة .

والقارىء لشعر نازك يدرك تماما مدى قدرتها على تصوير مشاعرها في ايجاز معتمدة على الحس الكمين في اعماقها الذي تدفعه تعبيراتها في ذهن القارىء دون

# شاعرية عبد الرحيم قليلات

بقلم ابراهيم عبده الخوري

* * *

قليلون هم الشعراء الذين تابعوا طرق المنظوم ، بعد ان انضموا تحت لواء الوظيفة . من هذه القلة الشاعر عبد الرحيم قليلات الذي خلق شعرا متنوع الاغراض والاطراف ، والذي اثبت ان الوظيفة لم تستطع ان تكبل يديه ، وتمنعه عن العطاء ، او تحد من هذا العطاء .

هذا الانسان ، رحمات الله عليه ، عاش في زمن اضطهدت فيه دولة القريض من قبل السلطات الحاكمة . ومع ذلك هب ينافح عن كل قيمة وطنية ، ويناشد المخلصين من ابناء لبنان ان يقفوا صفا واحدا ، ويهتفوا بالراية الحبيبة . وقف بعض شعره حرب عوان على الذين امتهنوا حرمة الديار الغالية . ولم تتوصل تهديدات المستبدين ان تخرس صوته ، وتنتزع القلم من بين انامله ...

وكما طرق الشعر ، فانه ولج ميدان الصحافة ، وكله امل بان يحتل المكانة التي طالما راودت مخيلته ، وهو في مطلع شبابه . وفعلا فقد توصل ان يبني لنفسه مكانة محترمة بين زملائه الصحفيين ، بعد ان اصدر بالخرطوم ، في عام ١٩١١ ، جريدته « رائد السودان » التي اشتهرت بصبغتها الوطنية والادبية . وكانت هذه الجريدة ملتقى اقلام رجالات الفكر والادب والشعر في دنيا العروبة . وبقيت تمد القراء بمقالات وابحاث توجيهية ، وتحثهم على محاربة الاستعمار البريطاني ، حتى اعتقل صاحبها من قبل السلطات عام ١٩١٤ . وبقي اسيرا في مصر طوال مدة الحرب العالمية الاولى . وفي اسره» مد يد الصداقة الى بعض الالمان ، فتعلم منهم الالمانية ، واتقنها الى جانب التركية والافرنسية والانكليزية ، التي كان يجيدها الى درجة تمكنه من المحاضرة بها . فضلا عن انه كان ملما بالعبرانية والاسبانية والفارسية .

واحب السفر فزار الهند وسومطره والصين واليابان والفيليبين وجزر هاواي والولايات المتحدة الاميركية واوروبا وافريقيا الغربية . وقد تعلم اليابانية والاندونيسية في اسفاره هذه التي جاءت بعد ان اعتزل الوظيفة ، وباع ما تبقى له من املاك في بيروت . والمعلوم ان عبد الرحيم قليلات عين مفتشا عاما لبلدية بيروت عام ١٩٢٠ . وفي عام ١٩٢٢ تسلم مديرية الشرطة اللبنانية . وبقي في هذا المنصب حتى عام ١٩٢٩ عندما قدم استقالته اثر اصطدام حاد وقع بينه وبين السلطات الفرنسية .

لعبد الرحيم قليلات شعر متنوع الاغراض ، كما ذكرت . وقد تركز اغلبه في ديوانه ( الهيام ) وكان كله شعر مناسبات .

تقرأ قصائده فاذا المعاني في اغلبها مفناجة ، واذا الاسلوب في متناول يديك . فالشاعر حاول جهده ، ان يأتي باسلوب سريع الالتقاط، وقد توصل الى ذلك . ولكن هل هذا يعني انك في وضع لا يسمح لك الا بان تذهب في تأييدك الكامل للشاعر قليلات ؟

ان الشاعر ، وان طرق اغلب ابواب القريض ، ما استطاع ان يفلح فيها كلها . خذ مثلا غزله ، وهو قليل . تقرأه على مهل ، فاذا بك في النهاية تسلم بضعف باعه ، رغم انك تقع على ابيات عابقة باريج الوله ، وزاهية الى اقصى حدود الزهو ، مثل :

وقطيف الارز نهداك ... نديدا حسنييك
قدك البان وما شعرك ... الا غاب اياك
ردد الورق عليه ... لحن اشواقي اليك
والخزامى حول انسان ... الدجى من ناظريك

وقوله في قصيدة نونية :

قسما بالحب اني مغرم ... ويمين الحب لي خير يمين
اترامى بين يأس ورجا ... ورجائي بين شك ويقين

على انه شق طريقه في باب الاجتماعيات ، اذ ترك قصائد ان دلت على شيء ، فانها تدل على سرعة خاطره ، ودقة ملاحظته ، وقوة بيانه .

وكان مؤمنا الى اقصى حدود الايمان ، فهتف بدين واحد . اسمعه يقول في قصيدة دالية اسماها « في سبيل التوحيد » :

ما رب موساكم ورب مسيحكم ... يا قوم الا نفس رب محمد
هو رب كل العالمين فيا ترى ... ما الفرق بين موحد وموحد

وقد دفع اولاده على التغني بان دينهم هو الانسانية . مرة سأل ولده مصطفى استاذه في الجامعة الاميركية : ما دينك ؟

– ديني الانسانية ، اجاب التلميذ .

فلم يفهم الاستاذ مقصده من هذا الجواب، فعاد وطرح نفس السؤال.

فقال مصطفى : اؤكد لك ان ديني هو الانسانية . على هذا انشأني والدي .

ويقول في قصيدة عنوانها « السلام في الاسلام » :

بمحياك يا هلال العام ... حي قومي ، وثغرك البسام
وانر من قلوبهم كل نهج ... ضل معنى حقيقة الاسلام

ثم تحدث عن عظمة الدين الاسلامي ودعوة الرسول العربي الى التآخي والاحسان والمحبة والصداقة ، وصيانة الشرف والقيام بواجب الصيام وتأدية الزكاة :

ان دين الاسلام دين سلام ... واعتصام بحبل رب الانام
دين اسمى ثقافة واجتهاد ... دين اسنى محبة ووئام

وقبل ان يختم قصيدته اكد تمسكه باهداب الدين وهيامه بخالق الكون ، قال :

ما هيامي الا بربي وقومي ... ولساني افخر به من هيام

وحارب الطائفية ودعا الى التكاتف والتعاضد ونبذ التعصب ومحاربة الحرتقات الحزبية . فاللبنانيون اخوة في السراء والضراء :

كلنا اخوة وما الفرق الا ... غلط في حسابنا موهوم
غلط اصل جمعه الطرح والضر ... ب بهذا وذاك والتقسيم
غلط لا يضل عنه لبيب ... غلط لا يشك فيه فهيم

الى ان يقول :

كلنا في حمى المحبة اهل ... ها هو المذهب الصحيح القويم
كلنا ان وفت عقول حليم ... كلنا ان صفت قلوب سليم

ولعبد الرحيم قليلات شعر في الوطنيات سلخ ابياته من فؤاده . فجاءت قصائده صافية ، نقية ، تدل على تعلق واضعها بوطنه تعلقه بذاتيته . انه لم يرض بديلا عن هذه البقعة الصغيرة من الارض . هذي البقعة هي لجميع ابنائها على اختلاف مذاهبهم وعقائدهم . وعلى هؤلاء الابناء الذين ينعمون بدفء حرارتها وفيض خيراتها ان يهتفوا دوما برايتها .. ان يجندوا انفسهم للحفاظ على كيانها .. ان يعملوا لتبقى ، في دوامة ، منارة علم ومنطلق فكر :

ما امة نطق الهوى سلطانها ... الا تملك قلبها سرطانها
قالوا البلاد لفرقة او شيعة ... قلت اسكتوا بل للجهالة آنها
ما زال للوطن المفدى عصبة ... شيدت على حب التقى اركانها
العلم يعرفها ويعرف قدرها ... والفضل افضل همه شكرانها

ثم يقول :

ان كان اخطلها لعيسى ينتمي ... فانا ورب محمد حسانها
ديني محبتها وايماني بها ... وعقيدتي لبنانها ، لبنانها

وكما حلق في شعره الوطني ، فانه ايضا حلق في عدة قصائد حيا بها امجاد العروبة ورجالات العرب الاحرار . كما انه تغنى ببعض المدن التي لها ماض حافل بالبطولات والمآثر الخالدة .

قال في مدينة طرابلس :

خصبها مورد النشيط انتفاعا ... رحبها مقصد العليل انتجاعا

وقال في قصيدة بعنوان « تحية دمشق » :

وما صرح مجد العرب الا دمشقها ... ومعرضها للسعد اسعد مطلع
تباهت مغانيها بفضل رجالها ... تباهي الغواني بالشجاع السميدع

وفي حفلة اقيمت لتكريم وفد فلسطين الرياضي ، القى الشاعر

قصيدة بائية نوه فيها بالارض التي للحضارة فيها ركيزة جبارة ، وقال :

كفى فلسطين فخرا في عروبتها     جهـد الى خير مجد جد منسوب
جهد لـه من مرير الصبر حصته     بل صبر ايوب في ابناء يعقـوب

عاش هذا الشاعر في مجتمع متقلب . فوقف على مصائبه ، على امراضه ، على احقاده .. كما وقف على افراحه ، على تمنياته ، على تساهله ... فترك قصائد وصف فيها هذا المجتمع وصفا دقيقا :

اذا كانت الامال بالوصل اوهاما     فليس بمجد شبب الصب او هاما
يلوم اخيفي الله صبريعلى الاذى     ولو مارس الايام مثلي مـا لامـا

ويقول في « الموظف الوطني » :

ولكـــم زرعت فمـــا حصد     ت سوى الخصاصـة والنكـد
انـا راحـــل انـا هــارب     انا « طافش » مـــن ذا البلـد

ورغم انه تقلب في وظائف حساسة في الدولة ، فانه لم يأبـه للسياسة ، انه كرهها :

دعني فما لي لي السياسة ناقة     تطلى ولا جمـــل يلث بقارها
انـي لاستحيي امتطاء جوادهـا     والبعض يستحلي ركوب حمارها
وامج لطف جمالهـــا وجلالها     ناهيك خسف جلالها وجرارهـا
خط المقامر والمقامر باسمهـا     سيان حول غمارها واقمارهـا
احرارها لا خير منهم يرتجـى     افهل ينال الخير من اشرارهـا

وهذا الذي وقف ، كما ذكرت ، على احداث مجتمعه ، شعر بـان حقوق المراة ما برحت مهضومة . فانبرى يدافع عنها ، ويؤيد حريتها ، ويثني على مساهمتها في بلورة البيئة :

والاذن عانية الــى نخاسها     والعين شاخصة الى دلالهـا
والروح نازعة الى استقلالها     والنفس ناسجة على منوالها
تصبو الــى حرية لنسائها     ايـام لا حريـة لرجالهـا !
حرية ما مــر عفوا ذكرهـا     الا استطار الشر من اهوالها

ويضع امكاناته تحت تصرف المراة ، ويتمنى لها من صميم الاعماق كل تقدم . يقول :

انـــا للمراة الضعيفة عمري     مخلص صادق ، وفي العهود
انمنى لهـا نهوضا سعيدا     يتحلـى بطيب عيش سعيد

وله شعر انشد في مواقف معينة والبعض منه قد لحن . والـذي يقرا « انشودة الشباب العربي » مثلا او « نشيد التدريس العلماني » او « نشيد الوطن والمراة » او « نشيد المرشدات » او « نشيد العروة الوثقى » ... لا يمكنه الا ان يسلم بماهية عطاء هذا الشاعر ، وان لـم يكن هذا العطاء في غزارة .

يقول في « انشودة الشبـاب العربي » :

بلفوهـــم ان عصبتنـــا     فخرهـا بالطيـب الحسن
بلفوهـــم ان نهضتنـــا     سرهـا فـي الروح والبـدن
بلفوهـــم ان وحدتنـــا     فــي سبيل اللـه والوطن
لا مباهـــاة بانســـاب     بـــل لاعـــداد وتأهيـل
لا لاحـــزاب والقـــاب     بـــل لاصـلاح وتكميـل

وكانت للشاعر روح مرحة ، فحملته على وضع قصائد فكاهية زادت على العشرين . وانت تطالع ابياتها تدب فيك نشوة ، ولا تقدر ان تتمالك عن الضحك . قال في وصفه للتراموي :

عربات عرفت نوحـا وحامـا     وعليها البوم قـــد ناح وحامـا
علب السردين حاكتهـا ازدحاما     فقضى الناس اختناقا وازدحامـا

ولو ان الشاعر عاش لهذه الايام ، لكان اطلق نفس العبارات فيما لو طلب منه ان يصف ثانية التراموي .

وهناك قصائد متناثرة قيلت جميعها في مناسبات مختلفة . ولا نعلم متى ترحب بها المطبعة .

وبعد ، ان عبد الرحيم قليلات ، وان جـــاء شعره فـي ظروف ومناسبات معينة ، يظل ذاك الانسان الذي اعطى دولة القريض قصائـد فيها رموز واوصاف وتصاوير ونصائح ترتاح اليها النفس ، واحيانا تطرب وتزغرد .

**ابراهيم عبده الخوري**

# حلوة النظره

●

صديقتي يا حلوة النظره
قد يبعث الانسان في الدنيا
اكثر من مره
وقد يموت الشعر .. يا حلوه
في محنة الصمت
وترقص الاشباح مزهوه
جذلى على بيتي
تعلن عن قيثارى الاعمى
تعلن عن موتي ..

✶

صديقتي فدى لعينيك
حرف اغانينا .. صمت امانينا
وحشرجات الناي في الوادي
بين مراعينا ...
يا حلوة النظره
سفينة الموت .. من ذا يناديها
اسمع عبر الليل اصواتا ...
هنا مراسيها ..
ويلجا الربان في داري
يعل من احلام اشعاري
يلمس حتى فجر قيثاري ...
يا حلوة النظره

✶

صديقتي ... يا نسمة خضراء
هبت على قلبي .
تنير لـي دربي ..
تغسل عن خطوي عار الاذى المجنون
ترفع عن هدبي ، مشانق الديجور
كم مزقت قلبي اهاتي الصفراء
لولاك يا حلوه .. يا نسمة خضراء
هبت على قلبي

✶

اواه يا حلوه .. يا نشوة النشوه
يا نفحة الزهره ....
قد يبعث الانسان في الدنيا ...
اكثر من مره

**الحلة ـ العراق**     **حميد سعيد**




## شـــوق

للشاعرة ادفيك شيبوب ـ ١٠٣ صفحة ـ مطبعة دار الاحد في بـيروت

عرف القاريء المتتبع والمستمع للاذاعة شاعرة لبنان ادفيك شيبوب أديبة متمرسة بالثقافة والحياة ، تلقي في المسامع والقلوب نفحات فنية تحمل المحبة والامل والجمال ، ويبدو أن الشعر أقرب الى طبيعتها ، وأحـب اليها اذا عادت الى نفسها فأخذت تغنيها أشواقها بأناشيد منطلقة عـلى سجيتها ، ولا أدري ما كان شعور الوجد والحنين حين أخذت تهدهـده بمقطوعات ثابت على الوزن والقافية ، وكان النغم والموسيقى دأب الشعر منذ هتف به هوميروس في أدب الاغريق ، ومنذ طوف بقصيده في أدبنا القديم امرؤ القيس وهو يركب البيداء ويلتمس الظل والماء .

وما أحسب الموسيقى الا سحرا حلالا للشعر ، فاذا خلا منه فكأنه يريد أن يستغني عن دقات قلبه ونبضات شعوره ، ألم يقيض لبعضنـا أن يتأمل في الافعى المسماة فيالهند بالكوبرا كيف تخرج من الســلال على نغم الناي الحنون ؟ يسحبها من مراحها ومخبئها حاويها اللعـاب بالمزمار، ولو كلمها فيغير تنغيم أو تطريب لما تحركت من صمتها العميق.

وقضية الشعر المنطلق ما تزال رهينة بالجدل حولها ، فمن النقاد من يعدها مستعصية ملتوية ، ومنهم من يعدها لهوا ولغوا ، وبين النقاد من يراها تمهيدا لشعر قابل جديد ، يطرح عندها الشعر العربيالموروث ليبرز الحديث بهذه المنظومات الحرة البناء ، الشاردة الهواجس والصور.

وقد وقفت حيرى تلقاء الاراء المتضاربة في نقد هذا الشعر وان لم أجد حيرة في التفريق بين الصادق والزائف ، بأي شعر عمـوديأو منطلق على هوى قائليه ، لكني حين قرأت شعر السيدة ادفيك أحسست صدق الموهبة فيه ، والتعبير عن وجدانها بالاداء الذي جارت فيه مـن آثروا النظم المطلق الفالت ، وهي القادرة على ارساله منغوما مطبـوعا بطوابعها ، نضاحا برهافة نفسها وبعد نظراتها للحياة ، غير أن الشاعرة فضلت تجديدا لم يتحدد مداه ، فمضت في هذا الاداء الحائر اسـوة بالمجددين ، وفيهم الذين يرسلون شعرهم في الهواء كما يرسل البالون، فانه يعلو ويعلو خفيفا رشيقا ، وربما عصفت به الريح فانفجر ، ومهمـا يكن الامر فانه لن يستطيع العودةالى الارض سالما .

ولن انعجل فاتجني على الشاعرة ادفيكالتي لم يخل ديوانها «شوق» من أبيات موزونة ، تشف عن حسها الصادق بالحب والحنين ففي ص٢٢:

دروب حياتي ضجيج ، صنوج
سعدت ؟
أحقا بعيشي سعيدة ؟
على أي لحن أغني ؟
على أي عود ؟
وفي عمق ذاتي وحشة قبر
هوى يتجدد
حنين يعود ؟

فهذه الابيات الرفيقة لفظا ، العميقة معـنى ومدى ، صحيحـة ومجزوءة ذات نغم مواج ، ولعل كلمة أهزوجة تلائمه ، ومن ها هنا أودعت الشاعرة ديوانها مقطوعات وأهازيج ، فاذا خلت الاهزوجة من النغمالذي هو شرط لروحها وبنائها ، فكيف تصطنع للهزج والترنيم ؟

وللسيدة ادفيك أبيات غيرها متسمة بالوزن والقافية في قصيدة « نخب حبي » ص ١٠٢

آه ماذا ساغني ؟
جفت الخمر بدني
مسني شك مريب
ان لحني سأم للناشئين
ونشاز الوقع في اسماعهم
ها أنا أمضي .. وأمضي
أترك الساح لغيري
للألى يأتون بعدي
يا حبيبي

ولئن لم يرفع العرب في قديمهم كؤوسهم بالانخاب على عـــادة الغربيين وبعض الشرقيين في حديثهم بتحيات الكؤوس ومجالس الشراب فان لهم تحايا باسم الدنان وبنت الحان ، وكانت لهم استعارات خمرية مثل الشاعرة ادفيك التي جعلت من جفاف الخمرة بدنها رمزا للاحـزان المقيمة وهي أدرى بهذه الاحزان التي حولت فكرها الى ندى شعر يجلل ازاهير روحها في الصباح ، ثم يلقي عليها وجوما في المساء.

وبعد فان الشعر الطليق في أدبنا الحديـث لم يكن من ابتكـار المجددين المتاخرين ، وانما هو تقليد وافد ، جاروا فيه بعض الغربيين ولقد سبق الى هذه التجربة والمجاراة أدباء من العرب كبار ثم أهملوها وتعلق بها غيرهم من الشعراء المطبوعين تكلفا وتحديا ، وبعض المقلديـن لم يتمرسوا بأدب ولا فن ، فاقبلوا عليه مستزيدين النقاد تبرما، ملتمسين الضجة حولهم للشهرة ، وكانت هذه التجربة الشائعة فتنة أدبية في نتاجنا الحديث حسبها أكثر النظامين والمتشاعرات تحررا وانفلاتا منكل قيد في اللغة والتعبير .

أما الشاعرة ادفيك التي جاء شوقها في ديوانها منغوما مهموسـا، ومنظوما مرسلا فحسبها انه عبر عن عواطفها وأساها بصدق واخلاص، وحمل في أبياته لهفتها وذوقها الادبي الذي صقله الفن ومحنةالتجاريب، ففاض الشعر من وجدانها على سجيتها ونظراتها للطبيعة والحياة، وكانت انسانيتها الصافية تنساب في الفاظها ومعانيها دون معاناة او تكلف ، ولا عجب فالسيدة ادفيك لم تكن من صنع الظروف المفاجئة التي الفت الوهج على بعض المتشاعرات ليتبدد بعد حين ، وانما هي من رعيـل فدوى ونازك وسلمى وملك وجميلة وجليلة ، وهؤلاء وان فاضت قرائحهن بشعر طليق ، فانهن حفيظات على تراث الشعر في أصالته وموسيقـاه وما أحسب ادفيك بعد « بوح » و « شوق » الا عائدة الى الاســلوب الاصيل في فنها الموهوب .

وكيف دار الامر ، فان ديوان «شوق» الذي اتسم بالاهازيج قـد خالف عن معناها في اللغة ، وفي الهزج التطريب والترنيم ، وما أظنني وجدت بهجة وفرحة ، ومن يدري فلعل الشاعرة شيبوب قطرت روحهـا في اناء الاحزان ، لتقول شعر الحنين والتوجد على رنين الاهازيج ومـا كانت موهبة الشعر لتبقى في سكب واحد محزون كما تجلت في بعض الموهوبات قديما وحديثا ، فان الحياة نفسها تريد من الشعر مرآتهـا الصافية في كل ألوانها وفنونها والرجو من الشاعرة الحائرة أن يكون ديوانها الاتي ابتسامة للربيع .

دمشق — وداد سكاكيني

●

## الضفيرة السوداء

تأليف : محمد عبد الحليم عبد الله ـ مجموعة قصص ـ ٢١٢ صفحة ـ الناشر مكتبة مصر ـ دار مصر للطباعة .

لكل كاتب قصة ناجح مدرسة خاصة ، ونمط من الانماط لا يحيد عنه، اذ انه يصور قطاعا من الناس رآهم وعايشهم ، فعرف كل تلوناتهم ، وفطر على صدقهم أو نفاقهم ، وغار في جوف انسانيتهم أو دحرته شرورهم ومكائدهم ، او ان طابع الظلم والطغيان استجنحه لكسب اللون الثوروي المنطلق نحو الحرية والانعتاق من حياة القيد والغل .

والكاتب الاستاذ محمد عبد الحليم عبد الله ـ ككاتب ناجح ـ صاحب سمة خاصة به وحده دون سواه من كتاب القصة العرب ـ على وجه الاجمال ـ . ولعل حياة طفولته التي قضاها بين أحضان الارياف، هي المحرك الاول والاخير لاتسام أدبه بطابع البساطة والحساسية الانسانية المتناهية . فالقاريء له يلحظ النزعة الحسية «التشيخوفية» الممتزجة بالرهافة ودقة الشعور الانسانية والبساطة «الشتاينبية» . وانني لراء ، أن الفارق بين انطون تشيخوف وجون شتاينبك من ناحية، وعبد الحليم عبدالله من ناحية أخرى ، هو ان الاولين دمجا بساطة ابطالهما مع حياة الفظاظة والقسوة ، فخلقا مدا ثوريا لا يعرف الانحسار، أما الاخر ، فقد عمد الى البساطة المجردة ، واعادة الانسان بذاكرته وحسه الى الوراء عشرات القرون ، من القياس الحسي تجاه انسانية البشر ! والصحيح ، أنني آخذ عليه هذا المأخذ ، لا مجاراة لمن سبقوني في القول، بل لان هذا الرأي ـ كما أراه ـ من صلب الحقيقة التي لا تعرف التردد والاستحياء ، كما لم تعرف ، ولن تعرف يوما ترددا واستحياء! ومع هذا الذي أشرت اليه ، فان عبد الحليم يظل من كتاب الطليعة عندنا.

وقد جاءت مجموعته القصصية الاخيرة انموذجا من أدبه الذي نعرفه ، وعرفناه في « شجرة اللبلاب » و « النافذة الغربية » و «الماضي لا يعود » و « بعد الغروب » و « شمس الخريف » و « غصن الزيتون » و « سكون العاصفة » و ...الخ، ففي أقاصيص هذا الكتاب ، أنت ترى رجلا فلاحا بسيطا ، يحب أرضه الحب الجم ، كما أنك ترى فتى غض الاهاب يعشق شجرة قرب داره في القرية ، ويعتبرها « الام الرءوم » وانت ترى ايضا حب الفتاة القروية الصادق ، وخلاف هذه الانماط الشيء الكثير ، جميعها مرتبط بحبل من الود الانساني.

والكتاب يحمل اسم « الضفيرة السوداء» ، اتخذه الكاتب من قصة من اقاصيص الكتاب . ونستطيع رؤية صورة المؤلف في كل قصة من اقاصيص الكتاب على الاطلاق، فنحن نراه في «شمعة على الطريق» و«الليلة الموعودة » و «عندما يعود» و «عاطل بالوراثة » و « الاشياء النفيسة » و « القربان » و « عودة النور » و « هذه السعادة » و «سفينة النجاة» و «الليلة الاولى» و «ثم التقينا» ، نراه فيها جميعا بلا استثناء ، (فانت تستطيع أن تشم رائحة الخضرة والازهار وسنابل القمح وانت تقرأ قصص عبد الحليم عبدالله . تستطيع أن تعيش في جو من الريف الحقيقي المشبع بالبساطة والطيبة والدهاء في بعض الاحيان ) على رأي المرحوم الاستاذ اسماعيل الحبروك .

ولنشم معا رائحة القرية والقرويين وبساطتهم ، في قصة «الكنز» (صفحة ١٠٣): عند الصباح الباكر، والديكة ما زالت تصيح على السطح تقول له زوجته، والانين يحيل نداءها الى ابتهال : «قم يا محمود .. اظن أن الاوان قد آن» ، وينفض عنه النوم، ويستودعها الله، ويخرج من الدار. كان القمر ما يزال سهران بانتظار طلوع الشمس ، ومن الحقول يفوح عطر ممزوج بالندى ، وكان يسير وأنين زوجته يملأ اذنيه ، فصار يهمهم بالدعاء . وعندما وصل الشاطيء قال في ذات نفسه : « لكي اصل الى دار القابلة يجب ان يكون القارب على هذا الشاطيء ، وماذا يكون العمل لو شاءت المصادفة ان يكون القارب على الشاطيء الثاني ؟! ان زوجتي تعاني الام الوضع وهي الان وحيدة ، لكن ... » وبينما هو سائر الى الشمال حيث يقف القارب الذي ينقل الناس من شط الى شط ، مرت على الطريق سيارة نقل في اتجاهها الى الشمال كذلك ، وما أن تجاوزته بعشرين مترا حتى سقط فجأة من حمولتها كيس من أكياس تحملها، ولغريزة الشر فيه لم يفعل شيئا لاعادة الكيس ، ونسي كل شيء وصار مشغولا بالغنيمة التي وقعت على الارض ، وقد وجدها عبارة عن كيس من دقيق القمح، فحمله على كتفه وسار به نحو ثلثمائة متر .. ويخبيء غنيمته في مصطبة تعتبر امتدادا لترعة هناك ، ويتجه كرة اخرى نحو القارب ليستدعي القابلة . وبينما هو يفكر في خلع ملابسه وعبور الترعة سباحة رأى رجلا وامرأة يهبطان نحو القارب .. كانا يريدان العبور الى الشاطيء الذي هو فيه . وتنهد .. وحمد الله.. نعم.. حمد الله وخجل منه لانه قد فرغ من توه من ارتكاب جريمة .. ولما رآهما وجد ان المرأة هي القابلة « أم السعد » فاخبرها بأمر زوجته . وعند الظهر كان كل شيء في الدار صامتا .. فقد بشر الاب بمولودة بنتا .. وكانت الثالثة في الترتيب .. والريفيون يحبون الذكور .. كان الاب يقول في نفسه: انني لن أجد من يدافع عني عندما أشيخ لانني لم انجب ولدا. وكان ينتظر المساء بقلق ، لكي يأتي بالكيس على ظهر حماره .. وقد صور له خياله أن احد الصيادين قد أخذه ، أو أن عابر سبيل قد صادفه فاعتبره غنيمة له ، ولما قدم الليل خرج دون أن يخبر زوجته ، وعند المكان ربط حماره في مدخل احد الحقول وسار حثيثا حتى الترعة ، وهو يبتهل الى الله بطلب واحد هو الا ينهق حماره في هذا السكون، لان ذلك يترتب عليه ما لم يكن داخلا في حسابه قط . وفوجيء ان المصطبة التي خبأ فيها الكيس مملوءة بالماء ، فتحسر ، لان منسوب الماء في الترعة كان قد ارتفع بحكم نظام الري . عندئذ قدر أن الكنز قد ابتل ان لم يكن قد غرق . ولما بحث عن الكيس وجده غارقا تماما، واصبح مجرد قطعة من العجين. ومع هذا ، فقد ظل مقتنعا بنقله .. ليكن كيسا من العجين يخبز عند شروق الشمس . وجره حتى الشاطيء ، ووقف فغسل قدميه من الطين ولبس حذاءه ، ولما ذهب ليحضر حماره هناك .. وقف حائرا ، لان صدمة غير منتظرة افقدته رشده ، وحاول جمع شتات ذهنه كأنه أفاق من اغماء ، انه لم يجد حماره ! طبعا هناك من يراه .. عيون غير عيون الله .. وكان لا بد له ان يعود ، وفتح باب داره، فوجد زوجته نائمة وطفلته الجديدة في اللفائف ، وعلى وجهها تعبير لا يعني شيئا . وسرد لها قصته . وعندما اشرقت شمس اليوم التالي ، كان جماعة من الفلاحين ملتفين حول كيس العجين الملقى على الطريق وهم يضحكون ويتساءلون عن اصل الحكاية . واخيرا قرروا أن يلقوا به في الماء ، خشية أن يأكله انسان أو حيوان فيموت، لانه ولا شك مسموم !!

والذي نلحظه في هذه القصة ، وفي غيرها من «الضفيرة السوداء» أن المؤلف الاستاذ محمد عبد الحليم عبد الله ينجح في رسم أبعاد شخوصه في كل حركاتهم وسكناتهم ورغباتهم وبساطتهم ، ولعله يلاقي نفس النجاح في استتلاء درجات المونولوج الداخلي لهؤلاء الشخوص، وتواؤمه مع تصرفاتهم وأعمالهم .

الزرقاء ـ الاردن    فخري قعوار

●

## جدار العار .. وقصص اخرى

تأليف عبدالله الشيتي ـ مصمم الغلاف اسكندر لوقا ـ ١٦٠ صفحة ـ المطبعة العمومية بدمشق

القصة القصيرة في ادبنا العربي اخذت تشق طريقها بسرعة فائقة ملحوظة بين كافة الفنون والالوان الادبية وقد استطاعت ان تأخذ مكانها المرموق بين زحمة الانتاج في دنيا الادب وروضة العطاء الوسيعة ، واسهمت اسهاما فعالا في شتى النواحي الاجتماعية .

واليوم ، يضيف الاستاذ عبد الله الشيتي الى تراثنا الادبي القصصي، زهرة جديدة فواحة العبير ، هي كتابه القصصي الثاني « جدار العار » بعد « القديسة العارية » . وما من ريب في أن عبد الله وضع في روضنا الادبي باقة زهرة ملونة تلون الحياة ، فحمل كتابه « جدار العار » معظم نواحي الحياة من بسمة صيف ، الى طلة ربيع ، الى دمعة شتاء !

لقد اعطانا في قصصه صورا حياتية من مختلف الجوانب مشمسة كانت او مظلمة ، مرسلا شعاع قلمه القدير المنفسح الى اغوار النفس الانسانية التي تعيش دنيا الواقع، محلقا من ثم بأسلوب شاعري الىفوق السحاب بخياله الذي لا يعرف الفتور او الاستقرار . فنراه في قصة « خبر وصورة » يسبر اعمق اعماق النفس الانسانية الى اللاحدود . نرى ابطاله ابطالا حقيقيين وليسوا مزيفين او مفتعلين .. نراهم يمثلون ادوارهم على خشبة الحياة عن جدارة .. نرى « سعيدا » بطل قصته، بائع الصحف الصغير ، في نفوسنا يعيش ، وفي عيوننا يتجلى ، وفي ذواتنا يستكين . فسعيد الانسان الساذج الطيب ، يفلسف الحياة والاخرين من خلال نظرته وادراكه الاشياء المحيطة به ونرى « العقدة » الرائعة تتبدى في موقف اصراري يلتزمه سعيد حيال صديقه «الصحفي» فيتمنى عليه ان ينشر له خبرا وصورة بين اخباره وصوره الكثيرة وسط جو رائع مشوق من الحوار الحاذق ، والاسلوب السلس والافكار المثيرة التي ترادف واقعنا الراهن بمختلف مفارقاته ومتناقضاته و.. مشكلاته الاجتماعية المتباينة .

« الحظ .. الحظ لم يخدمني كما خدمهم يا سيدي . والا فاعلمني هل ولدوا من بطون امهاتهم فنانين ورياضيين ومحظوظين وموهوبين وعباقرة واصحاب ملايين ؟ الظروف .. الظروف اللعينة وحدها هي السبب يا سيدي ، انها تضعالكثيرين في غير امكنتهم وفي غفلة عين. ان الزمان في جانبهم واله الحظ في خدمتهم .. الخ » وتمضي القصة وقد برز من خلال فصولها المتماسكة عنصر التشويق الذي يشد القارىء بكل عنف لمتابعة حوادثها حتى تصل بنا الى ذروة الانفعال والتوتر النفسي لما تتسم به جوانبها المضيئة من شحنات شعورية انسانية ولا سيما في نهاية القصة عندما تصدم سعيدا سيارة فارهة من سيارات « أبي رمانة » !

« وحين كان بائع الصحف يلفظ انفاسه الريانة سمعه الناس المتجمهرون حوله بوجوم ، يغمغم بكلمات متقطعة بطيئة مغموسة بالدم : اسألوا الاستاذ عدنان ان كنت استاهل الان خبرا وصورة ؟ » .

بهذه اللقطة المثيرة المؤثرة ختم الاخ عبد الله قصته الرائعة « خبر وصورة » بعد ان نقلنا الى دنيا من الواقع الاليم الذي يمر بنا كل يوم دون اكتراث ، ولكن قلم الاديب استطاع ان يظهر لنا هذا الالم بفضل انواره التي يرسلها حتى تخال نفسك احد شخوص القصة او احد ابطالها ! لقد رأيت سعيدا بطل قصته في المقهى وانا اخط الان هذه الخواطر .. رأيته في ذلك الشاب البائس الذي قدم لي نسخة من صحيفة دمشقية .. بل رأيته في كل بائع صحف فقير يكافح في الحياة من اجل الحياة .

هذه هي واقعية عبد الله الشيتي الذي يزركشها ويوشيها بخياله الوثاب واسلوبه الشعري وكلماته المعبرة . فهو كما وصفه الدكتور ممدوح حقي « يضع الكلمة التي يريد للمعنى الذي يريد » .. نعم انه يكسب كل معنى لفظه الخاص به ، مما يحفزني الى القول بان عبد الله استطاع التوفيق بين القالب والمضمون في كل قصصه . كذلك عرف كيف يوزع الوانه تحت انوار ضوئه التي سلطها قلمه على المجتمع والحياة ، ولفت الانظار الى كافة ابطاله سواء في الخيبة والهزيمة او الفرح والانتصار او السلبية والايجابية .

لنعد الان الى اسلوب عبدالله المتميز بالبساطة وحسن الاداء ، فنراه يكتب للفكرة والاسلوب في آن ، كما نشعر بطلاوة عباراته المجنحة التي تحملنا الى افاقه الخصبة في العطاء والابتكار ! ففي قصة « السيد رمضان » تتجلى هذه الصفة الحميدة الملموسة في ادب الشيتي « عال.. عال .. انا ممنون منكم وشاكر لكم امانتكم يا سيدتي . بارك الله فيكم. انكم لقوم شرفاء امناء واهل ثقة وكرم فعلا . انني بصفتي « رمضان » احيي شهامتك ومروءة زوجك يا امرأة .. ؟ »

كذلك في قصته الوجدانية التأملية « صندوق الاحلام » .. انه صندوق العجم او صندوق الدنيا ... دنيا كلها عجائب وغرائب واحلام

.. « الله الله يا دنيا .. اين انا منك واين انت مني .. كلانا غريب عن الاخر .. » هذا هو « ابو سليمان » بطل القصة ، بل بطل احلامنا جميعا يوم كنا نهرع وراء صندوقه المزخرف نستمع بشغف الى حكايا الزير سالم وابي زيد الهلالي والاميرة ست الحسن .. الخ .. الخ .. وتتجلى عقدة فنية طريفة حين يظهر لنا الكاتب مدى علاقة ابي سليمان بصندوقه من حيث انه كنز احلامه ومورد رزقه ورزق عياله .. وكل هذه الاحلام والمكاسب تتحطم بظهور الالة في حياة الانسان تكاد تسحقه ... الة التلفزيون منافس .. ابي سليمان . ولا يقف التوتر عند هذا الحد من الابداع بل يتعداه الى اقدام طفل عابث من اولئك الذين كانوا زبائن للصندوق القديم ذات يوم مضى ، على القاء حجر كبير فوق الصندوق فتبعثرت واجهته وتبعثرت احلام ابي سليمان بل احلامنا جميعا .

اما قصة « امرأة في النار » فهي قصة اجتماعية مشهودة تعالج اخطر مشكلة في المجتمع واعني بها قصة او مهزلة الشائعات التي تنسج حول انسان او انسانة بريئة ولا سيما حول امرأة وحيدة « كسميحة » الانسانة التي احبت كل الناس في قريتها فظلمها كل الناس .. في كل مكان . ان الناس في مجتمعنا الشرقي المحلي كما يتصوره عبدالله ويصوره من خلال تجاربه الصحفية والاجتماعية يفرضون المرء متهما حتى تثبت براءته مع ان الاصل في الحقيقة ان كل انسان بريء حتى تثبت ادانته . فسميحة بطلة قصته العازبة اتهمها كل من في القرية وعذبوها وجلدوها ورجموها بالسنتهم وحجارتهم وسياطهم و « تلفتت مذعورة حيرى مستسلمة .. تبحث عن ( مسيح ) » واذ تحدث « معجزة » سببها حريق يلتهم القرية تقوم سميحة بدورها الانساني العظيم حيال جلاديها واذ ذاك تكبر في عيون الجميع وتدخل تاريخ القرية محمولة على الاكتاف !

من هذا المنطلق الانساني نرى الاستاذ الشيتي يسير نحو الكمال في القصة العربية القصيرة الحديثة التي قال عنها الكاتب نفسه (كتاب القصة اثنان .. واحد يكتب بصعوبة فنقرؤه بسهولة والاخر يكتب بسهولة فنقرؤه بصعوبة ) وطبيعي ان يجد القاريء ان عبدالله ممن يكتبون بصعوبة . وآمل ان تحقق القصة السورية التقدم الانساني الواقعي المضطرد على ايدي ادبائنا المنتجين الواعين القادرين امثال اديبنا ابي المجد . الذي اهدى مجموعة قصصه اليها .. الى صغيرته الحلوة !

لنعد الان الى قصته الرئيسية « جدار العار » التي سمى مجموعته باسمها لنرى هذا التيار العاطفي الذي يجرف عبدالله نحو وطنه السليب الام « فلسطين .. ارض الله والزيتون .. وارض البرتقال ودماء العذارى » وجدار العار .. كناية رمزية عن « بوابة مندلبوم » في القدس الذي فصل بين الشعب الواحد المنكوب بوطنه وحقه في الحياة الحرة الكريمة .. وقد استطاع عبدالله ان يقدم لنا نماذج انسانية حية « من عائشة » و « مريم » وجموع اللاجئين النازحين فيما خلف الجدار والمقيمين اسرى معذبين في وطنهم تحت سمع العالم وبصره لقد استطاع عبد الله ان يقنعنا بمنطقه الفذ وحوادث قصته المثيرة المليئة بالتداعي و « المنلوج الداخلي » بأن جدار المأساة انما هو من وهم وضباب .. وان ايد قوية جبارة سحقته .. ابادته .. وان العندليب كان صادقا حين تحدث على منحنى عن العودة .. ولكن عبد الله يطلقها ثورة صارخة تستنهض الهمم وتستصرخ الضمائر لانقاذ الوطن الجريح من غاصبيه .. وهو من خلال حوادث ومجريات القصة لا يود ان يثق بالاتكال على حديث العندليب بل على حديث الثورة .. والثار .. حديث محو العار من جبين كل فلسطيني بل كل عربي . « بعينيها الزائغتين هاتين رأت عائشة جدار العار في منتهى كل عام .. كان جدارا من وهم وضباب فتمنت لو انها كانت من غير عينين » . وفي ختام القصة تفيق عائشة صارخة بكبرياء على مسمع من الجيران « لا .. لا اريد اعاشة بعد اليوم » ! لقد طغت على عبدالله عاطفته الوطنية الجياشة في هذه القصة كما في قصة « اجازة ليوم واحد عن جندي سوري وجميلة بو حيرد » وقصة « خديجة ام الفقير من واقع معركة بورسعيد » .. ان عنده قدرة العطاء على تجسيد واقع الالم المشترك والكفاح المشترك والمصير العربي الواحد . ان في اهاب عبدالله قصاصا واقعيا مدهشا يستحق التجلة والاحترام .

وبالاختصار فان مجموعة عبدالله « جدار العار » باقة ورد منوعة ففيها القصة العاطفية والاجتماعية والوطنية والنفسية والسردية والتحليلية، وقد وفق الكاتب في اختيار المواضيع واثارتها بفنية وسلامة. وقبل ان انهي هذه الخواطر لا بد لي من الاشارة الى ناحية مهمة وهي العمل الادبي بشكل عام . ان العمل الادبي هو فيض النفس الحساسة ساعة نشوتها والهامها فيه الكثير من المحاسن كما انه يحوي بعض الهنات والهفوات . والاديب الحق هو الذي يسعى دوما ويسير نحو الكمال . من هذه الزاوية بالذات اقول ان عبدالله الشيتي يسير بسرعة ملحوظة نحو الكمال وان مميزات ومحاسن نتاجاته وكتاباته اكثر بكثير من هفواته الضئيلة البسيطة التي غفرها له ابداعه الفني وعطاؤه القصصي الرفيع . من هذه الهفوات « طبعا في نظري » تغاضى الاخ عبد الله عن العامل الزمني في بعض قصصه واسهابه في بعض المواضع وهذا كما ذكرت عائد لاصالة عبد الله في الكتابة لانه يكتب من قلبه واحساسه ومن دمه واعصابه فهو يترك لقلمه التعبير والانسياب مفسرا لواعجه وكثيرا ما يسهب الانسان الكاتب في لحظة شعورية ما حيال موضوع يراه في غاية الاهمية والدقة و .. الشرح !

والان اترك الكتاب بقصصه الثمان للقارىء فعنده القول الفصل . والنقد في نظري كما في نظر الاخ عبد الله تدليل على ذوق الاخرين..! وحسب الاستاذ عبدالله الشيتي فخرا ما لاقت كتبه وموضوعاته وقصصه السابقة من رواج وتقدير من قبل القراء .

دمشق

نزار عبيد




● دعوة الى السفر ـ تأليف الدكتور عبد السلام العجيلي ـ ١٥٢ صفحة ـ منشورات عويدات ببيروت ـ مطبعة كرم ببيروت .

● كتاب تاريخ مدينة جدة ـ تأليف عبد القدوس الانصاري ـ ٦٨٢ صفحة ـ حجم كبير ـ مصور مع خرائط ورسوم ولوحات ـ مجلد ـ طبع على نفقة بلدية جدة ـ مطابع دار الاصفهاني وشركائه بجدة .

● شجرة العذراء يصورها ادب النخيل ـ تأليف توفيق الفكيكي ـ ٢٤٠ صفحة ـ حجم كبير ـ منشورات محمد جواد حيدر صاحب مكتبة المعارف ببغداد ـ مطبعة الارشاد ببغداد .

● عينان بلا لون ـ تأليف خالد الحلي ـ صمم الغلاف عزيز الشكرجي وحكيم الجراخ ـ ١٥٨ صفحة ـ مطبعة النعمان بالنجف الاشرف .

● الاشتراكية ومفهوم العدالة ـ تأليف ندره اليازجي ـ ١٦٠ صفحة ـ حجم كبير ـ منشورات دار اليقظة العربية بدمشق ـ مطابع فتى العرب بدمشق .

● النقد الفلسفي للماركسية ـ تأليف ندره اليازجي ـ ١٤٠ صفحة ـ مطابع الاديب بدمشق .

● ساحل الذهب الاسود ، دراسة تاريخية انسانية لمنطقة الخليج العربي ـ تأليف محمد سعيد المسلم ـ تقديم حمد الجاسر ـ ٢٨٨ صفحة ـ حجم كبير ـ منشورات دار مكتبة الحياة ببيروت ـ مطابع دار مكتبة الحياة ببيروت .

● نداء الثأر ـ شعر ـ اكرم عرفات ـ تقديم محمد خلوصي بسيسو ـ تمهيد محمود سليم الحوت ـ الغلاف والرسوم بريشة زهران سلام ـ ١١٦ صفحة ـ منشورات دار الفكر الحديث للطبع والنشر (؟) ـ ( لم يذكر اسم المطبعة ) .

● جراح المدينة ـ شعر ـ سالم الخباز ـ ١٦٠ صفحة ـ مطبعة الهدف بالموصل .

● بقايا معتقدات من الفرات ـ تأليف المحامي عبد القادر عياش ـ ٤٨ صفحة ـ دير الزور ، سورية ـ ( لم يذكر اسم المطبعة ) .

● الكويت كانت منزلي ـ تأليف زهرة ديكسون فريت ـ ٢١٦ صفحة ـ حجم كبير ـ منشورات دار الكاتب العربي ببيروت ـ ( لم يذكر اسم المطبعة ) .

● الفنون الادبية واعلامها في النهضة العربية الحديثة ـ تأليف انيس المقدسي ـ ٦٦٤ صفحة ـ حجم كبير ـ منشورات دار الكاتب العربي ببيروت ـ ( لم يذكر اسم المطبعة ) .

● شاعر في المعركة ـ تأليف رفائيل سباتيني ـ لم يذكر اسم المترجم ـ ٢٥٦ صفحة ـ منشورات دار الكاتب العربي ببيروت ـ ( لم يذكر اسم المطبعة ) .

● الكويت ـ باقلام نخبة من كتاب العرب ـ ٢٤٨ صفحة ـ حجم كبير ـ منشورات دار الكاتب العربي ببيروت ـ ( لم يذكر اسم المطبعة ) .

● مكائد النساء في بلاط القياصرة ـ تأليف بول سونيير ـ لم يذكر اسم المترجم ـ ٢٤٤ صفحة ـ حجم كبير ـ منشورات دار الكاتب العربي ببيروت ـ مطابع دار الغد (؟)

● شهداء الوطنية : قصة دولة تجاهد في سبيل حقها بالبقاء ـ تأليف توماس مان ـ لم يذكر اسم المترجم ـ ٢٨٨ صفحة ـ منشورات دار الكاتب العربي ببيروت ـ ( لم يذكر اسم المطبعة ) .

● البترول في خدمة العالم ـ تأليف ستيوارت شاكني و ن. دارسي دريك ـ ترجمة الدكتور حسن حسني ابو السعود ـ مصمم الغلاف محمد اسماعيل صالح ـ ١٤٤ صفحة ـ مصور ـ منشورات مكتبة الانجلو بالقاهرة ـ مطابع مؤسسة طباعة الالوان المتحدة (؟)

● عاشق الظاهر ـ مسرحية من ثلاثة فصول ـ تأليف جورج كيلي ـ ترجمة كامل يوسف ـ تقديم الدكتور مصطفى محمود ـ ١٧٦ صفحة ـ منشورات مكتبة الانجلو المصرية (؟) ـ مطبعة مصر بالقاهرة .

● تقويم الاسلوب الديمقراطي في المؤتمرات ـ تحرير جمعية تعليم الكبار الامريكية ـ ترجمة عبده ميخائيل رزق ـ مراجعة وتقديم العميد سيد عبد الحميد مرسي ـ ٩٢ صفحة ـ منشورات دار القلم بالقاهرة ـ مطابع دار القلم بالقاهرة .

● التخطيط من اجل برامج افضل ـ تحرير جمعية تعليم الكبار الامريكية ـ ترجمة الدكتور سعد دياب ـ مراجعة وتقديم الدكتور محمد عماد الدين اسماعيل ـ ٨٤ صفحة ـ منشورات دار القلم بالقاهرة ـ مطابع دار القلم بالقاهرة .

● الصخور التي حولنا ـ تأليف آن تري هوايت ـ ترجمة وتقديم الدكتور انور محمود عبد الواحد ـ مصمم الغلاف محمد سليمان التهامي ـ ٨٨ صفحة ـ حجم كبير ـ مصور ـ منشورات مكتبة الانجلو مصرية بالقاهرة ـ مطابع مؤسسة طباعة الالوان المتحدة (؟) .

● التعليم بالوسائل السمعية والبصرية ـ تأليف بول ر. وندت ـ ترجمة الدكتور احمد محمود طنطاوي ـ مراجعة محمد السيد روحه ـ اشراف وتقديم محمد علي حافظ ـ ٧٨ صفحة ـ منشورات دار القلم بالقاهرة ـ مطابع دار القلم بالقاهرة .

● جولة في عالم الهندسة ـ تأليف ورسم انتوني رافيللي ـ ترجمة الدكتور احمد عزيز كمال ـ ١١٢ صفحة ـ حجم كبير ـ مصور ـ منشورات دار المعارف بالقاهرة ـ مطابع دار المعارف بالقاهرة .

● Ontologie et Théologie chez AVICENNE - illustré de 8 reproductions en hors texte fac Similis de Mss - par Osman Chahine Docteur ès Lettres, Maître de Conférences à l'Université de Khartoum - 186 pages - gd. f. - Librairie d'Amérique et d'Orient Adrien Maisonneuve, Paris .. Imprimerie A. Bontemps, Limoges France.

● Arabic Literature, An Introduction-Second (Revised) Edition - by Sir H.A.R. Gill University Professor and James Richard Jewett Professor of Arabic Harvard University - 186 pages - Oxford University Press, London.

# في كلمات...

● ذكر جراحان بريطانيان يعملان في ابحاث السرطان، انهما حققا نتائج مشجعة بعد ان طعما ثمانية من المصابين بالمرض بخلايا حية. وقال الجراحان، وهما البروفسور م. وودرافو، والمستر برنارد نولان، من اساتذة جامعة ادنبره، في مجلة لانسيت الطبية، انهما توصلا الى استنتاج هام هو ان الهدف النهائي في معالجة السرطان عن طريق توفير المناعة ضده ليس مستحيل التحقيق. واشار الجراحان الى ان المرضى الذين اختاراهم كانوا في مراحل متقدمة من المرض او ممن عاودهم السرطان بعد عمليات جراحية. وقد طعم المرضى بخلايا حية من طحال شخص اخر، وقال الجراحان ان هذا العلاج اسفر في جميع الحالات اما عن تغيير في اعراض المرض او في النتائج الطبية.

● جراحة جديدة لعلاج الانيميا الخبيثة المعروفة باسم «كولي» ابتكرها الجراح الروسي فؤاد افنديف من اذربيجان بازالة جزء من الطحال. وقد جربها على ١٥ طفلا، فشفوا منها ويتمتعون الان بصحة جيدة. ويكثر انتشار هذا النوع من الانيميا في الشرق الاوسط وحوض البحر المتوسط، ويظهر وراثيا في اطفال العائلات، فيقتلهم قبل ان يصلوا الى العاشرة من عمرهم. ومن اعراضه صفار البشرة، وتغير في العظام، وكبر في حجم الرأس. وقد درس الجراح «افنديف» هذا المرض عدة سنوات فعرف انه يحدث بسبب الطحال الذي يفتك بكريات الدم الحمراء، وهي تعيش في الاشخاص الاصحاء من ١٠٠ الى ١٢٠ يوما اما في المرضى بالانيميا، فانها تموت في فترة تتفاوت بين ٢٠، ٤٠ يوما. ومن دراساته عرف ان الطحال

---

اليمنى دون استخدام اليد اليسرى بالتناوب، او بسبب التغيرات الناشئة بسبب الكسح في الجسم، او لاستعداد موروث في العمود الفقري الضعيف. ويجب عرض هذه الحالات على الطبيب بصورة اكيدة. ويقتضي على الابوين والمربين عدم ارغام الاطفال على المشي في وقت مبكر، والانتباه الى حسن وضع عمودهم الفقري عند المشي والجلوس، وتعويدهم على ممارسة الالعاب البدنية في سن الطفولة لدرء هذه التشويهات الجسمية لديهم. وتعتبر السباحة تمرينا مثاليا للجسم لانه يتخذ خلالها اوضاعا طبيعية، وتفيد الناس على مختلف اعمارهم. ويجب تنشيط لعب الاطفال وممارستهم الالعاب الرياضية، ولكن ارغامهم على التمرن الشاق في سن مبكرة قد يضر باجسامهم اكثر مما يفيد.

هو المسؤول عن وفاة الكريات الحمراء بهذه السرعة، وبالتالي اجرى جراحاته لاستئصاله.

● عقار جديد يقي وقاية كاملة من الاصابة بحمى الملاريا. وقد اطلق عليه اسم «س ١٥٠١» وجرب على المتطوعين من المساجين في اصلاحية السجن بالاتحاد الاميركي، فسجل نجاحا فاق كل العقاقير المعروفة. وستبدأ قريبا تجاربه على نطاق واسع.

● الاسراف في التطلع الى التليفزيون يحتمل ان يؤدي الى نوع من التشنجات العصبية، وفقا للدراسات التي اجراها ٣ من الخبراء البريطانيين وعثروا فيها على ١٤ طفلا مصابين بهذا الداء. وقالوا ان السبب يكمن في طبيعة عرض الصور التي تظهر فجاة ومتعاقبة في سرعة على شاشة الجهاز. ومعروف ان مثل هذا التعاقب يحدث التشنجات. ويحدث مثلها لاولئك الناس الذين يحاولون النظر الى الشمس او منبع ضوء قوي من خلال الفرجات بين ضلوع مروحة او عجلة.

● تم في مستشفى ليدز في بريطانيا اجراء عملية جراحية خطيرة لامرأة في الثامنة والثلاثين من عمرها. واستغرقت العملية مدة ١٢ ساعة ووقف قلبها خلال ذلك ٣ساعات، واستخدمت الرئة الصناعية. والغاية من العملية هي ابدال صمام في قلب المرأة بصمام اخر اخذ فورا من قلب رجل وافته المنية. ولقد وردت تقارير افادت ان حالة المرأة الصحية حسنة.

● قال عالم الفيروسات السوفياتي الشهير ليف زيلبر «انني لا اشك دقيقة واحدة بطبيعة السرطان الفيروسية» أي ان مصدره الفيروس. وقد توجه العالم مؤخرا الى بودابست تلبية لدعوة اكاديمية العلوم المجرية لالقاء محاضرات عن طبيعة السرطان. وقال انه سيتحدث في محاضراته عن الابحاث العلمية في ميدان علم السرطان في الاتحاد السوفياتي. وسيكون في هذه المحاضرات فصل هام للابحاث الفيروسية التي يقوم بها العديد من العلماء السوفياتيين في ميدان علم السرطان. ويعتزم ليف زيلبر ان يقوم بجولة كبرى في الخارج. فمن بودابست سيتوجه الى لندن للاشتراك باجتماعات الفريق الاوروبي للاختصاصيين الذين يدرسون فيروسات التورم، ثم سيتوجه الى امستردام حيث سينعقد مؤتمر السرطان. وقد قال البروفسور زيلبر: «اننا معشر العلماء نعلق اهمية متزايدة على الاتصالات العلمية الدولية. ونحن ملزمون بمهمة عالمية هامة للغاية، وتبادل التجارب والتعاون الوثيق بين اطباء جميع البلدان هما ضمان انتصار العلماء في النضال ضد الامراض».

● اعلن علماء الابحاث البريطانيون تفصيلات عن دواء جديد قالوا انه قد يفوق التطعيم للسيطرة على مرض الجدري. وقد ذكر عالم بريطاني في مقال له نشر في مجلة طبية ذكر ان النتائج التي امكن التوصل اليها بعد تجارب اجريت في الهند قد دلت على ان الدواء الجديد قد وفر الحماية من المرض حتى في الحالات التي اخذ فيها في فترة متاخرة وهي فترة لا يجدي التطعيم فيها. وقال ناطق بلسان وزارة الصحة البريطانية ان الدواء الجديد قد يكون تطورا مهما الا انه ما زال في مراحله الاولى.

● لمنع اسنان الاطفال من التسوس ابتكر الاطباء في امريكا لبانا جديدا يحتوي على مادة الفلور التي يقال انها تقي الاسنان من التسوس.. واللبانة الواحدة تحتوي على ١٠ ملليجرامات من الفلور الذي يتمرر خمسه في اللبانة ويصعد عند مستوى الاسنان بعد ١٠ دقائق من المضغ.

● جاء في تقرير علمي القي في نيويورك مؤخرا نبأ اكتشاف عقار جديد يزيل الالم كالمورفين تماما ولكنه لا يسبب الادمان مثل المورفين. ويسمى العقار الجديد بنتازوسين وقد جرى اختباره خلال السنوات الثلاث الماضية على اكثر من الف مريض في كلية الطب في جامعة بايلور في هيوستون بولاية تكساس. وقد قدم الدكتور ارثر كيتس، رئيس فرع البنج في الكلية، التقرير امام الجمعية الكيمائية الاميركية المنعقدة في نيويورك. وقال ان هذا هو الدواء الاول القوي الذي يزيل الالم ولا يسبب الادمان. وسيقدم الدواء الى الوكالة الاميركية للاغذية والادوية في نهاية هذا العام لاقراره والسماح ببيعه.

● ذكرت وكالة تاس السوفياتية ان عالما روسيا يبلغ من العمر ٧٠ سنة يقوم بضبط وسائل تطويل امد فعالية الادوية بحيث يكفي اعطاء حقنة واحدة بدلا من ٢٠ حقنة او حتى ٤٠ حقنة. وقد قرر الدكتور سيرجي اوشاكوف من اكاديمية العلوم السوفياتية معالجة مشكلة تطويل امد فعالية الادوية عندما اصيب بمرض تيبس الانسجة العضوية. واضطر الاطباء الى ملازمته ليلا ونهارا لاعطائه الحقن.

● ذكر العالم الفرنسي الفريد شامبانيا، أثناء مؤتمر النفط العالمي الاخير الذي جرى عقده في فرانكفورت بالمانيا الغربية، ان شركة النفط الفرنسية استطاعت في ميناء لافيرا الواقع على شاطيء البحر المتوسط، حيث يبتديء خط أنابيب النفط الهام الواصل الى كارلسروهه، الحصول على نتائج عظيمة في ميدان تربية الخميرة على بقايا النفط واستخراج المواد الزلالية منها للعلف والغذاء. هذا وتجري بحوث مماثلة تتجه نحو نفس الهدف في مكان اخر، غير ان الفرنسيين قطعوا في هذا الميدان شوطا واسعا، وسبقوا غيرهم. فقد امكن في لافيرا تربية الخمائر

واستكثارها بواسطة بعض فضلات النفط المكونة من الكاربوهيدرات . وعوضا من نشوء البارافين من مواد الكاربوهيدرات، تقوم الخمائر بتوليد مواد زلالية بنسبة مائة بالمائة. ويجري في نفس الوقت تكرير تلك المواد وتصفيتها بهذه الصورة . وذكر العالم شامبانيا ، ان الخمائر تتكاثر بتربيتها على هذا الشكل بسرعة عظيمة . فبينما تستطيع بقرة يبلغ وزنها نصف طن ان تنتج من المواد الزلالية نصف كيلوغرام في اليوم الواحد، اذ بكمية مماثلة الوزن من هذه الخمائر تستطيع ان تنتج من المواد الزلالية ما زنته ١٢٥٠ كيلوغراما في اليوم .

● قال احد العلماء الاميركيين انه عثر على الدليل الذي يثبت ان « الغوريللا » و « الشمبانزي » ينتميان الى فصيلة الانسان، وان دليله على ذلك يستند الى تحاليل للدم لا تدعو مجالا للشك في صحتها.

● أعلنت مختبرات غلاسكو البريطانية ان علماءها اكتشفوا عقارا جديدا اطلقوا عليه اسم سيفالوسبورين وقد توصلوا الى ذلك بعد انقضاء ١٣ عاما على محاولات وتجارب مخبرية مضنية بلغت نفقاتها نحو مليون جنيه. وبدأت قصة هذا العقار في جزيرة سارديني حيث لاحظ البروفسور بروتسو فعل عفن من نوع سيفالوسبوريوم الماخوذ من مصب مجارير المدينة على الشاطىء . وفي الوقت ذاته استطاع احد الاطباء هنالك انتاج عينات من هذا العفن فبعث بها الى هوارد فلوري رئيس ابحاث الامراض والعقاقير الطبية في جامعة اكسفورد قصد المزيد من الاختبار والبحث بصدد العقار الجديد . وقد اشترك ايضا في هذه الدراسة منذ بدئها علماء مجلس الابحاث الطبية البريطاني. واستحصل هؤلاء على تسجيل حق الاكتشاف لحمايته . وجرت تجربة اربعين الف عينة ونموذج منه خلال عامين حتى تم اختيار النوع الافضل الذي يعطي خير النتائج لصنع كميات منه.

● اخترع الدكتور ليسلي كاي المهندس الكهرباني البريطاني جهازا صغيرا يقود العميان اثناء سيرهم . ويتكون الجهاز من بطارية صغيرة ترسل ذبذبات صوتية ترتد عند مقابلتها لاي جسم الى سماعة مثبتة في اذن الاعمى ، فيستطيع ان يتحسس طريقه.

● اعلن الدكتور روبرت جرنيدر الاستاذ بجامعة ويسكونسن الاميركية انه لا توجد علاقة من نوع ما بين الذكاء ولون البشرة في الانسان : وان الوضع الاجتماعي للفرد وليس لون البشرة هو الذي يحدد موقف المجتمع منه ، ولا يوجد أي فارق في الذكاء بالنسبة للاشخاص الذين يوجدون في بيئة اجتماعية واحدة .

● في الاتحاد السوفياتي طبيب لكل ٤٩٨ نسمة مقابل طبيب لكل ٨٢٦ نسمة في الولايات المتحدة و ٨٧٧ نسمة في انكلترا و ٩٤٣ نسمة في فرنسا وفي اليابان.

● بلغ مقدار السجاير التي استهلكها الالمان في الجمهورية الاتحادية خلال السنة الماضية ٨٤ مليار سيجارة قيمتها ٧ مليارات مارك . وهذا المبلغ يساوي قيمة كافة الفحم المستخرج في المانيا. وبالرغم من النسبة العالية للتدخين -يقع على كل شخص الماني نسبة ١٤٥٠ سيجارة في السنة - فان المانيا لا تأتي في مقدمه الشعوب « المدخنة » . ففي انجلترا وسويسرا ، تبلغ نسبة التدخين ٢١٥٠ سيجارة لكل شخص من المواطنين ... وفي الولايات المتحدة يبلغ متوسط النسبة ٢٦٦٠ سيجارة.

● توفي اسكانجو بجانيا عن ١٤٧ عاما وموطنه جورجيا حيث لا يصبح المرء في مقتبل العمر الا عندما يبلغ المائة . وقالت المجلة الطبية الصادرة في موسكو ، عند اعلان نبأ وفاة بجانيا ان في جورجيا ٢١٠٠ شخص تجاوزوا المائة وان عدد النساء المعمرات يبلغ ضعف الرجال . وقد كان عمر بجانيا ١١٢ سنة عندما تزوج اخر مرة وانجب ابنا . ولديه ايضا ابنة من زواج سابق . وهي الان « صبية » في التسعين من عمرها.

● تلقت جامعة الدول العربية ٣٣٠ طلبا من الباحثين والمتخصصين في شؤون البترول في كافة انحاء العالم للاشتراك في مؤتمر البترول العربي الرابع الذي سيعقد في بيروت في ٥ نوفمبر ١٩٦٣.

● اصبحت افريقيا من اهم الاسواق للمنتجات الزراعية الاميركية . وقدرت قيمة صادرات اميركا لافريقيا في السنة المالية الماضية ، بمبلغ ٣٨٠ مليونا من الدولارات.

● لحفظ البيض المكسور والاحتفاظ به طازجا ، ظهرت في بريطانيا الة جديدة تصنع له غشاء جديدا من البلاستيك وفي الوقت نفسه تسلط عليه اشعة فوق بنفسجية تقتل كل ما فيه من ميكروبات وبهذا يعيش البيض المعالج بهذه الطريقة ضعف المدة التي يعيشها طازجا في العادة . وفي وسع هذه الالة ان تنقذ ٣٠٠٠ بيضة في الساعة بعد ان تسحب ما فيها من هواء يفسدها . ويقول من جربوا هذه الالة انها ضرورية لتجار البيض اذ تنقذ عددا كبيرا منه .

● تمكنت العالمة البيولوجية الشابة اليزافيتا بوغدانوفا من مضاعفة مردود القمح الربيعي بواسطة معالجة البذور بحمض التبفين. والحبوب التي تقدمها النباتات المعالجة بهذا الحمض تنشيء جذورا اضافية عندما تبذر وتعطي سوقا اقوى . والسنابل تكون اكبر من السنابل العادية . وبرهنت بوغدانوفا على ان البذور التي تعالج بحمض التبفين تغير الوراثة ومنذ السنة التالية يتحسن محصول القمح. هذا العمل يفتح افاقا رحبة لزراعة انواع جديدة من القمح الربيعي يكون لها افضل محصول وتنضج في وقت ابكر.

● تدرس الادارة العامة للانتاج الحيواني في ج.ع.م. عمل منفحة صناعة الجبن من معدات الاغنام بطريقة تجارية بدلا من المنفحة التي تؤخذ من معدات العجول الصغيرة فقط.

● صرح المهندس مراد فهمي مدير عام البساتين في ج.ع.م بان مراقبة بحوث الخضر قد نجحت في انتاج سلالة جديدة من البطاطا للتصنيع كمصدر كبير لاستخراج النشا.. السلالة الجديدة وفيرة المحصول وبدأت الوزارة في اكثارها ..

● عقد في دوبنا بالاتحاد السوفياتي مؤتمر للكشف عن اسرار نشوء الكون ، اشترك فيه ٢١٠ من كبار علماء الذرة يمثلون ٢٢ دولة .

● بدأ في بون بناء اول سفينة شحن المانية تسير بالطاقة الذرية يتكلف بناؤها ٥٠ مليون مارك « حوالي ٤٤٥٠٠٠٠ جنيه استرليني » وتبلغ حمولتها ١٦ الف طن ، ومن المقرر ان تبدأ العمل في عام ١٩٦٧.

● تبني روسيا الان اكبر محطم للذرة في العالم على بعد ٦٠ ميلا جنوبي موسكو. ومما يذكر ان محيط هذا المحطم طوله ٦٠ ميلا ولا يمكن مشاهدته دفعة واحدة ، وان قوته ستكون ٧٠ بليون فولت اليكتروني.

● ميكروسكوب الكتروني جديد يكبر الاشياء ملايين المرات ويتيح للخبراء دراسة تفاصيل الجينز وهي الجسيمات الوراثية المعروفة باسم المورثات مما يتيح لهم معرفة اسرار الحياة . وقد اكتشفه الدكتور « الفار ويلسكا » من جامعة اريزونا . وبه يرجو ان يستطيع رؤية نواة الذرة والجسيمات الموجودة فيها وكيف تتحرك . وقال ان اهم تعديل احدثه في ميكروسكوبه الالكتروني هو اضعاف قوة شعاع الالكترونات واحداث تعديل في شكل العدسات مما يضاعف قوته في رؤية الاشياء . واكد ان التجارب الاولى دلت على نجاح فكرته .

● اخترع العلماء الروس في اوكرانيا الة تمكن رجلا واحدا من السيطرة على مائة ماكينة مختلفة في منجم للفحم .

● راديو صغير يثبت في اطار النظارات، يلتقط اذاعة محطتين ومزود بمفتاح دقيق لضبط الصوت . تم صنعه في مصنع « يوني تخنيك » الموسكوبي . ويعتبر عمليا للغاية في الرحلات والسيارات حيث يمكن للمرء الاستماع للاذاعة دون مضايقة احد.

● يعتقد العالم البيولوجي السوفياتي فارسيلي كريرفتش ان هناك « مخلوقات آدمية في كوكب « المريخ » » ، ويحتمل ان تكون هذه الكائنات قد زارت الارض منذ عدة الاف من السنين » عندما كانت الانسانية في مراحل تطورها الاولى » .